

الأمير المغولي دمرداش بن جوبان وعلاقته بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون منذ ظهوره حتى مقتله 728هـ/1327م

سند أحمد عبدالفتاح

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت

الملخص

حظيت كتب التراجم في العصر المملوكي بأهمية كبيرة لما تحويه من شخصيات مهمة أثارها بظهورها العديد من الإشكاليات، ومن هذه الشخصيات الأمير دمرداش بن جوبان، الوافد المغولي المستأمن الذي حظي برعاية الناصر محمد بن قلاوون، ثم سرعان ما قام بإعدامه؛ لذا عكف الباحث على دراسته دراسة تفصيلية تسلط الضوء على نشأته وأسرته وأهم صفاته، والأسباب التي أدت إلى وفوده إلى مصر، وإشكالية مقتله على يد الناصر محمد بعد الأمان الذي منحه إياه، والأسباب التي استوجبت قتله، وختاماً إشكالية الشبيه الذي ظهر عقب وفاته وانتحل شخصيته، وجلس على حكم بلاد الروم بدلاً منه بضع سنوات!

وخلصت الدراسة إلى أنه على الرغم من عظم مكانة دمرداش وقراسنقر في الدولتين المغولية والمملوكية على الترتيب فإن ذلك لم يشفع لهما حينما التقت مصالح سلطان مصر الناصر محمد مع خان المغول أبي سعيد، فُضرب بالعهود والمواثيق عرض الحائط، وتم عقد صفقة بين الطرفين تقضي بحز رأس غريم كل خصم؛ فالناصر محمد في سبيل القضاء على قراسنقر طلباً لثأر أخيه الأشرف خليل سعى بكل سبيل مع خان المغول لتحقيق رغبته، وعلى الجانب الآخر سعى أبو سعيد للتخلص من آخر أفراد أسرة جوبان التي وصلت إلى قمة المجد في عهده، وصدقت مقولة دمرداش وقت إعدامه بأنه لا أمان للملوك حينما تلتقي المصالح الشخصية، فلا أعراف ولا رسوم دبلوماسية ولا عزاء للوافد المستأمن في الدولتين المغولية والمملوكية.

اتبع المماليك نظام الوفود (اللجوء السياسي) في علاقاتهم مع المغول⁽¹⁾، وكثرت حالات الوفود بين الطرفين؛ لكن على حين كانت أعداد الوافدين المغول إلى الدولة المملوكية تتجاوز الآلاف نظراً لحفاوة استقبالهم، ووصولهم إلى أعلى رتب الإمارة في السلطنة المملوكية دون تفرقة بينهم وبين المماليك القاطنين في مصر، نجد على النقيض أن الوافدين من المماليك إلى الدولة المغولية كانوا من القلة مقارنة بالمغول الوافدين إلى مصر؛ لعدم تمتعهم بالمكانة المرموقة التي تمتع بها أقرانهم في مصر، فضلاً عن سياسات المغول الوحشية في التعامل مع الأمراء والتي جعلت البعض ينفّر من اللجوء إليهم إلا في أضيق الحالات، كأن يكون هذا الأمير المملوكي هارباً من بطش السلطان به.

تنوعت الأسباب التي جعلت كثيراً من المغول يتركون أوطانهم ويفدون إلى مصر والشام خلال العصر المملوكي؛ ومن هذه الأسباب ما اتخذ طابعاً سياسياً أو عسكرياً، أو اقتصادياً، أو اجتماعياً أو دينياً من جهة، أو خروجاً عن الطاعة والتأمر على الدولة من جهة أخرى. فالأسباب السياسية جعلتهم يفدون إلى الدولة المملوكية؛ نظراً لما شهدته هذه الفترة الزمنية من تطورات كثيرة من صراعات وحروب أجبرتهم على ترك أوطانهم والبحث عن أماكن أخرى أكثر أمناً واستقراراً. كما كانت الأسباب الاقتصادية أيضاً سبباً في وفودهم إلى مصر وبلاد الشام؛ نظراً للظروف القاسية التي عاشها المغول في بلادهم، من كوارث طبيعية من قبيل: المجاعات، والأوبئة والسيول، وندرة الأمطار، وموجات البرد الشديدة، وأفواج الجراد المدمرة، والأعاصير والرياح الشديدة، وسوء الأحوال الاقتصادية، إلى جانب ما سمعوا به وما وجدوه في مصر والشام من الثراء ورخد العيش والحياة الطبيعية الهادئة.

كما كانت الأسباب الاجتماعية متمثلة في اجتذاب سلاطين المماليك للوافدين، وحسن استقبالهم وحفاوة تكريمهم من العوامل المهمة التي دفعت المغول إلى ترك أماكنهم والوفود إلى الدولة المملوكية. ولم تخرج الأسباب الدينية التي تنوعت ما بين اعتناق ملوك المغول للإسلام، أو الرغبة في الإقامة في البلاد الإسلامية، أو الرغبة في سلوك طريق التصوف - عن كونها عامل جذب لكثير من المغول إلى الأراضي المملوكية⁽²⁾.

وتطبيقاً على ذلك شهد عصر الظاهر بيبرس وفود المغول بكثرة إلى مصر؛ نظراً لأواصر الصداقة بينه وبين بركة خان زعيم القبيلة الذهبية القفجاق⁽³⁾، فأصدر مراسيمه في عام 661هـ/1262م إلى نواب السلطنة في بلاد الشام، وعلى أطراف الحدود مع الدولة المغولية، بإكرام الوافدين من المغول، والقيام لهم بما يحتاجون إليه من الطعام والخلع والإنعامات، بل إن بيبرس أحياناً كان في طليعة مستقبليهم على مشارف القاهرة، وتبعه في ذلك جميع الأمراء؛ فلم يتأخر أحد عن مشاهدتهم، فاستقبلهم وأنزلهم في دور بنيت لهم، ووزع عليهم الخلع والخيول والأموال، وأمر أكابرهم وأدرج البقية في جملة المماليك البحرية⁽⁴⁾.

مما لا شك فيه أن هذه البداية المثالية للوافدين المغول على يد الظاهر بيبرس أعطت الضوء الأخضر لاستقبالهم بكل حفاوة في عهد خلفائه؛ فبدؤوا يتوافدون على الشام ومصر بأعداد غفيرة تجاوزت الآلاف؛ بحيث تم اختطاط أحياء جديدة في القاهرة لإقامتهم.

من بين آلاف المغول الذين فتحت لهم الدولة المملوكية أبوابها يأتي هذا البحث ليسلط الضوء على الأمير دمرداش؛ وهو أحد الأمراء المغول الوافدين الآمنين من قبل السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وجاء وفوده إلى مصر هرباً من بطش خان المغول أبي سعيد⁽⁵⁾، الذي أرسل جنوده طلباً لرأسه.

إن إشكالية هذه الدراسة تنصب في المقام الأول حول كيفية تعامل الدولة المملوكية المسلمة مع وافد من الدولة المغولية المسلمة أيضاً؛ فعلى الرغم من إعطاء الأمان لهذا الأمير للوفود إلى بلاط الناصر محمد حفاظاً على حياته المهددة من قبل خان المغول، فإن إقامته في مصر لم تطل سوى أيام معدودة⁽⁶⁾؛ إذ تم قتله حالما تغيرت طبيعة العلاقة بين حكام المغول والمماليك؛ حيث التقت - ولو مؤقتاً - المصالح الشخصية بين خان المغول وسلطان مصر؛ وهو ما فتح الباب لتقصي ماهية الظروف ومعطيات الأحداث التي أدت إلى مقتله من خلال مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة؛ اختص الأول بالحديث عن نشأته وأسرته ومكانته في الدولة المغولية، وتناول المبحث الثاني علاقته بالناصر محمد سلطان مصر (قبل وفوده إلى مصر وبعده)، والمبحث الثالث أسباب نقمة الناصر عليه، التي أدت إلى

قتله ، والمبحث الرابع تناول إشكالية ظهور شبيهه بعد وفاته ، ثم خاتمة البحث .
 اتبع الباحث في بحثه المنهج التاريخي القائم على تحليل شذرات النصوص الواردة
 عن الأمير دمرداش في المصادر المملوكية ، وعقد المقارنات بينها للتوصل إلى نتائج منطقية
 لموضوع البحث .

حقيقة لم يثبت لدى الباحث أية دراسات سابقة عن دمرداش ، إضافة إلى أن
 الكتب التي تناولت النظم الدبلوماسية إبان ذلك العصر ، والتي لم تتعرض له بالدراسة
 إلا من خلال إشارات عرضية لا توفيه حقه ؛ وهو ما جعل الباحث يعكف على دراسته
 نقداً وتمحيصاً من خلال ما أورده المصادر المعاصرة ، والتي تنوعت ما بين مصادر عربية
 وأخرى فارسية .

المبحث الأول - دمرداش (النشأة والأسرة)

ورد اسمه في المصادر العربية والفارسية بأشكال مختلفة؛ فهو دمرداش⁽⁷⁾ ، أو
 تيمورتاش⁽⁸⁾ أو تمرتاش⁽⁹⁾ أو دمرتاش⁽¹⁰⁾ أو دمراطش⁽¹¹⁾ بن جوبان⁽¹²⁾ النوين ، لم يُعرف
 على وجه التحديد تاريخ مولده ، وإن كانت المصادر اتفقت على مكان وتاريخ وفاته في
 القاهرة عام 728هـ / 1327م في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون⁽¹³⁾ .

تمتع دمرداش بالعديد من الصفات التي تباينت المصادر في حصرها إيجاباً وسلباً؛ فمن
 الناحية الإيجابية وصفته بحسن الشكل وجمال الهيئة⁽¹⁴⁾ ، كما وسمته بأنه كان شجاعاً
 فتاكاً جسوراً لا يهاب الحروب⁽¹⁵⁾ ، ناهيك عن كرمه الزائد حيث وسمته بأنه «كان جواداً
 مفرطاً»⁽¹⁶⁾ ، بل ربما كان ذلك من أسباب هلاكه بمصر على يد الناصر محمد بن قلاوون -
 كما سيرد - وخير شاهد على كرمه أنه حالما وفد مستأمناً إلى مصر كان تقدير ثروته ما بين
 ثمانين إلى مائة ألف رأس من الغنم ، وزع منها على بعض الأمراء في مرفأً قطياً⁽¹⁷⁾ نحو
 عشرين ألف رأس ، واستمر في توزيعها خلال رحلته حتى أتى على جميعها ، كما دخل
 يوماً أحد الحمامات وحينما خرج منح القائم على نظافة الحمام ألف درهم ، وللحارس
 ثلاثمائة درهم⁽¹⁸⁾ . لذا ليس غريباً أن الناصر (محمد) حينما أراد أن يجزل له الإنعامات

والإقطاعات الكبيرة رفض ذلك رفضاً قاطعاً لكونه من الأغنياء الموسرين⁽¹⁹⁾.

أما عن الجوانب السلبية في شخصية دمرداش فقد أوردت المصادر بعضها؛ فأقرت بأنه «لم يكن له عقل يرشده»⁽²⁰⁾، كما وُسم بالظلم الفاحش من جراء استيلائه على أموال رعيته إبان فترة حكمه في بلاد الروم⁽²¹⁾، زد على ذلك سيطرة الغرور عليه؛ كونه سليل أسرة مغولية عريقة تولت أرفع المناصب في البلاط المغولي⁽²²⁾، وخير شاهد على ذلك ما ذكره الناصر محمد بن قلاوون عنه حينما كان يسير أمامه مختلاً قائلاً: «أرأيت هذا تمرتاش كيف يمشي قدامي؟ هذا إنما هو إعجاب منه بشكله وقده واستخفافاً»⁽²³⁾، إضافة إلى كونه دموياً لدرجة ذكرت المصادر أنه «سفك دماء كثيرة، وقتل من المسلمين عالماً عظيماً»⁽²⁴⁾.

كذا وصفت المصادر دمرداش بالخوف والجن خاصة عقب شروع أبي سعيد في نكبة أفراد أسرته من ناحية، وفي أثناء فترة التوتر مع الناصر محمد من ناحية أخرى؛ يشهد بذلك نظام الحراسة الشديد الذي فرضه على حدود بلاد الروم؛ فجعل هناك حراسة من جنوده على الحدود لحفظ الطرقات؛ فلا يمر أحد إلا ويعلم به خوفاً على حياته من الفداوية⁽²⁵⁾ الذين قد يرسلهم السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون لاغتياله في أثناء فترة الجفوة بينهما⁽²⁶⁾. وأغلب الظن أن هذا من تدبير حدود دولته وحفظها أكثر منه خوفاً على حياته.

أما عن أسرته فقد شغل والده جوبان منصب نائب خان المغول، وتمتع بمكانة مرموقة في بلاط الخان خدبنداه⁽²⁷⁾ من قبل، وابنه أبي سعيد من بعد؛ لدرجة أن الأخير كان يخاطبه بـ«الأب» و«الأخ الكبير»، بل أطلق يده كليه وأبناءه في تصريف شؤون البلاد وإدارتها، وتعاضمت قوته أكثر؛ بحيث لم يبق لأبي سعيد من السلطة سوى الاسم فقط⁽²⁸⁾؛ ساعده على تلك المنزلة الرفيعة قيامه بالقضاء على ثورات الأمراء المغول المناوئين لحكم الخان أبي سعيد.

إلا أن الاختبار الحقيقي الذي تعرض له جوبان في إثبات ولائه لأبي سعيد تمثل في ثورة ابنه دمرداش، الذي كان آنذاك حاكماً على بلاد الروم⁽²⁹⁾، وعزم على الاستقلال بذلك الإقليم، فأكثر من شراء المماليك تدعيماً لجيشه، ثم منع الأموال التي كانت تُرسل من

قبله إلى خان المغول، بل بالغ في إهانة رسله⁽³⁰⁾، ثم جاهر بإعلان الثورة على حكم أبي سعيد في عام 722هـ/1322م، وزادت سطوته بعد أن خُطب له على المنابر وُضرت السكة باسمه، ثم أكسب ثورته شعاراً دينياً فأشاع أنه «مهدي آخر الزمان»⁽³¹⁾، الذي سيملاً الأرض عدلاً، وهذا الشعار جعل المصادر المملوكية ترجحه سبباً كافياً للسعي نحو إخماد ثورته .

أغلب الظن أن دمرداش كانت لديه ميول توسعية في محيط إقليم بلاد الروم، وكانت تلك الميول نابعة من سقوط أملاك الدولة السلجوقية عقب وفاة سلطانها مسعود الثاني 704هـ/1304م، هذا السقوط الذي منح أمراء المغول الفرصة لبسط سلطانهم على هذا الإقليم تحت مظلة خان المغول؛ الذي بات يعين أمراء من قبله على حكم تلك البلاد⁽³²⁾، غير أن هؤلاء الأمراء طمعوا في الاستقلال الذاتي لهذا الإقليم لما تميز به من ثراء مادي وبشري، ولتحقيق هذا الهدف كان لابد من إعلان الثورة على الخان الأعظم، وتجلي ذلك في ثورة دمرداش .

بمجرد أن وصلت أخبار ثورة الابن دمرداش إلى والده جوبان لم يتردد الأخير في تجهيز جيش والزحف نحو بلاد الروم لقمع ثورته، والقضاء عليه بمباركة الخان أبي سعيد، والثابت أن الوالد تعامل مع ثورة ابنه على أن عقله أصابته لوثة من جراء ادعائه أنه المهدي المنتظر، لذا وجب عليه الزحف لرده عن هذا المعتقد⁽³³⁾ .

احتدم الصراع بين دمرداش ووالده، بيد أنه حالما تواترت إليه الأخبار بدخول الجيش المغولي إلى حدود ولايته، فوجئ بتخلي جنوده عنه، وانضمامهم إلى معسكر أبيه، وأنداك أيقن بالهزيمة وأعلن استسلامه، وتم اقتياده مكبلاً بالأغلال إلى الخان لينظر في أمره⁽³⁴⁾، ثم سرعان ما أطلق الخان سراحه وعفا عنه شفاعة لوالده، بل أعاده مرة ثانية إلى حكم بلاد الروم لمباشرة مهام منصبه، وتروي المصادر أن السبب في إطلاق سراحه أنه حال وصوله إلى بلاط أبي سعيد رمى الطومار⁽³⁵⁾ قائلاً: «أينما وقع ينزل الناس على دائرته»⁽³⁶⁾، فأعجب به أبو سعيد وأعاده ثانية إلى مستقر حكمه .

وصل مجد أسرة جوبان إلى أوج الازدهار نظير ما قدمته من خدمات للدولة المغولية، غير أنه سرعان ما نُكبت تلك الأسرة، وأخذ نجمها في الأفول «وزالت فيما بعد سعادتهم ،

وتنمّر لهم أبو سعيد وتنكر»⁽³⁷⁾، وشرع في تتبع أفرادها والقضاء عليهم الواحد تلو الآخر، وهو ما جعل دمر داش ينجو بنفسه ويطلب الوفود المستأمن إلى السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون هرباً من مصيره المحتوم داخل المملكة المغولية، فما الأسباب التي أدت إلى نعمة خان المغول أبي سعيد على تلك الأسرة؟

تعددت روايات المصادر في ذكر الأسباب التي أدت إلى نكبة تلك الأسرة؛ ومن المرجح أن تغلغل نفوذ تلك الأسرة في الدولة المغولية عامة كان بمثابة الإنذار الذي هدد ملك أبي سعيد؛ فالأب جوبان-العقل المدبر للأسرة - كان نائباً للخان مسيطراً عليه، وأطلق يده وأبناءه في تصريف وإدارة شؤون البلاد في كل صغيرة وكبيرة، وتعاضمت قوته بحيث لم يبق لأبي سعيد معه من السلطة سوى الاسم فقط.

كذا كان الابن الأكبر «دمشق خوجا» نائباً عن والده في تصريف شؤون الدولة حال غيابه وكثرة أسفاره⁽³⁸⁾، وهناك الابن الأصغر «دمرداش» الذي كان حاكماً على بلاد الروم في آسيا الصغرى، والمرجح أن نفوذ تلك الأسرة شكّل تهديداً لحكم أبي سعيد؛ فشرع في نكبتهم.

والمرجح أيضاً - وفق ما أشارت إليه المصادر - أن النساء لعبن دور البطولة في نسج المؤامرات التي حلت بتلك الأسرة؛ وكان أولى ضحاياهنّ هو الابن «دمشق خوجا»؛ فتروي المصادر أن «دنيا خاتون» - زوجة والد أبي سعيد - دخلت عليه قائلة له: «لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ما هما عليه»، ثم واصلت تأجيج صدره، واستنفار غضبه قائلة: «لقد انتهى أمر «دمشق خوجا بن الجوبان» أن يفتك بحريم أبيك، وأنه بات البارحة عند إحدى النساء، وقد بعث إليّ وقال لي: «الليلة أبيت عندك»، وما الرأي إلا أن تجمع الأمراء والعساكر للقبض عليه، فإذا صعد إلى القلعة متخفياً برسم المبيت أمكنك القبض عليه»⁽³⁹⁾.

بينما كان «دمشق خوجا» في طريقه للقاء محظيته بالقلعة، تواترت أخباره إلى أبي سعيد الذي أمر بقتله على الفور، ولبث اليأس في نفوس أنصاره، وأمر في الوقت نفسه أن يُذاع بين الناس خبر تعقب الوالد جوبان هو الآخر وتصفيته، وإمعاناً في حبكة الخبر قام

الجنود بقطع رؤوس بعض اللصوص، وعُلفت على أسنة الرماح، وطيّف بها في أنحاء المدينة على أنها لجوبان وأمرائه. وإذا كان الابن «دمشق خواجا» قد استطاع أن يفلت من مكيدة القصر، إلا أن أمراء المغول تعقبوه حتى تم القبض عليه وقتله ومصادرة أملاكه عام 727هـ/ 1326م⁽⁴⁰⁾.

أما الرواية الأخرى المتعلقة بدور النساء، التي اعتبرتها أغلب المصادر أحد أسباب نقمة أبي سعيد على جوبان وأولاده، فهي تتعلق بالأميرة «بغداد خاتون» ابنة جوبان وأخت الأمير دمرداش، التي أطنبت المصادر في ذكر حسناتها وجمالها الخلاب، لدرجة أنه «لم يكن في بنات المغل أحسن منها»⁽⁴¹⁾، وكانت متزوجة من الأمير الشيخ حسن الجلايري⁽⁴²⁾ منذ عام 723هـ/ 1323م، إلا أن أبا سعيد هاجمها بعشقا وحباً، لدرجة جعلته يهمل مباشرة أمور دولته، مكرساً جُلّ وقته للتغزل فيها، ونظم الشعر هياماً بها، وتطور الأمر إلى أن رغب بالزواج منها، مستغلاً قوانين الياسا المغولية - التي وضعها جنكيزخان - التي تقضي بأن كل امرأة متزوجة يقع نظر الخان عليها، ويُعجب بها، يُسرّع زوجها طوعاً إلى تطليقها، ويُرسّلها إليه عن طيب خاطر⁽⁴³⁾.

وعليه أرسل أبو سعيد رسولاً من قبله إلى جوبان يُفضي إليه برغبته في الزواج من ابنته، لذا وجب عليه تطليقها من زوجها، إلا أن جوبان - مع حيرته ما بين الولاء لسيدته ورغبة ابنته - كانت إجابته مبهمة فهمها الخان على أنها رفض منه لهذا الزواج فجُن جنونه، وثار تائوته، وأضمر الحقد لنائبه المقرب، وبات يتحين الفرصة للتخلص منه حتى يصفو له الجو والاستئثار «ببغداد خاتون».

عبتاً بآت كل محاولات جوبان بالفشل في إثناء ولي نعمته عن التفكير في الزواج بابنته، فمنعها من دخول الأوردو «حاضرة الدولة المغولية»⁽⁴⁴⁾، وأرسلها سراً بصحبة زوجها الشيخ حسن إلى قراباغ⁽⁴⁵⁾ حتى تكون بمأمن من الخان أبي سعيد، إلا أن تلك المحاولات لم تثنه عن تحقيق رغبته الدفينة ولو بعد حين، بل زاده البُعد حباً لها، واستطاع في النهاية أن يطلقها من زوجها ويتزوجها⁽⁴⁶⁾، وعظمت مكانتها لديه لدرجة أن أمور المملكة كلها كانت بيدها؛ بحيث لم يُر من يحكم حكمها⁽⁴⁷⁾.

مما سبق يتضح - وفق روايات المصادر - مدى تأثير نساء البلاط المغولي على صناعة القرار عند الخان أبي سعيد، فُكِّنَ سبباً في مقتل الوالد والابن اللذَّين كانا مقربين من السلطان، ويتحكماً فيه، فأمر بقتلهما نتيجة مشورة نساء البلاط اللاتي نبهنه على خطر هؤلاء الأشخاص على سياسة الدولة، وتعديهم على نساء أبيه متجاهلين سلطان المغول، غير أنه من الإنصاف القول إن قضية الزواج أو الرغبة في بغداد خاتون لم تكن هي السبب الرئيسي في نكبة تلك الأسرة، بل حملت في طياتها أبعاداً سياسية أخرى تمثلت في صراع الحاشية والوزراء بزعامة جوبان بهدف الإطاحة بأبي سعيد من الحكم، وهو ما أوجد مجموعة من الحاقدين عليه وعلى أسرته، ودور السلطان في تأليبهم على هذه الأسرة.

تبعاً لما سبق انفطر قلب الوالد جوبان على ولده «دمشق خواجا» حال علمه بخبر مقتله، وطلب من الخان أبي سعيد القصاص من قتلة ابنه، والتمس مساعدته في ذلك، بيد أن الخان صرح له قائلاً: «أنا الذي قتلته»⁽⁴⁸⁾، وكان ذلك تحدياً وإشارة منه إلى ما عزم عليه من ملاحقة باقي أفراد تلك الأسرة، هذا في الوقت الذي أثر فيه جنود جوبان السلامة، فتخلوا عنه وانضموا إلى الخان أبي سعيد، وهو ما جعل جوبان يفارق المملكة المغولية طلباً للنجاة، وحذا حذوه ابنه دمرداش.

المبحث الثاني - علاقة دمرداش بالناصر محمد

تباينت علاقة دمرداش بالناصر محمد قبيل وفوده إلى مصر ما بين التعاون العسكري من جهة، والتوتر والجفوة من جهة أخرى؛ فكان أول تعاون عسكري فيما بينهما في عام 721هـ/1321م حين أرسل دمرداش رسولاً إلى نائب السلطنة بحلب يطلب إمداده بالقوات المملوكية للسيطرة على إقليمي العراق وخراسان؛ بيد أن النائب لم يستطع أن يلبي طلبه دون إخبار سلطان مصر الناصر محمد بذلك؛ الذي ورد جوابه بمنحه الإمدادات العسكرية اللازمة⁽⁴⁹⁾، والتي من جرائها تمكن من تحقيق توسع في ممتلكاته حتى صارت أملاكه من قونية⁽⁵⁰⁾ إلى قيسارية⁽⁵¹⁾، ثم دخل بلاد سيس⁽⁵²⁾ الخاضعة للأرمن في عام 722هـ/1322م بمساعدة القوات المملوكية، وقام بنهبها وقتل من أهلها الكثير، وهرب صاحبها إلى قلعة إياس في البحر، فتتبعه حتى قام بإسقاطها،

واستمرت حملته العسكرية على تلك البلاد شهراً قام خلالها بنهبها وتخريبها، ثم عاد إلى مقر حكمه في بلاد الروم⁽⁵³⁾.

أغلب الظن أن دمرداش كانت له إستراتيجية واضحة في التعامل مع جنوده، تباينت ما بين الترغيب والترهيب؛ فأجزل الإقطاعات للورثة الذين سقط أبائهم في معاركه كنوع من المكافأة وترغيباً لهم في الجندية، ومساعدته في فتوحاته؛ وعلى الجانب الآخر توعد من هرب منهم، وترك معسكره بملاحقته والفتك به؛ ويبدو أن تلك السياسة لاقت هوى في أنفسهم؛ فكانوا وراء فتوحاته الواسعة في بلاد الروم⁽⁵⁴⁾.

لنا أن نتساءل لماذا وقف السلطان الناصر من دمرداش موقف الداعم إبان تلك الفترة؟ من المرجح أن العلاقة بين السلطة المملوكية والمغول كان يشوبها العداء والتريبص في هذا التوقيت؛ وعليه درج الناصر على إمداد كل ما من شأنه إحداث القلاقل والشقاق داخل مملكة المغول، وليس أحب إليه أنذاك من دعم دمرداش العسكري بغية استقلاله بإقليم بلاد الروم، على وعد منه بأن يكون نائباً للسلطان الناصر في تلك البلاد.

خير شاهد على ذلك أن العلاقة بين دمرداش والناصر بدأ يشوبها الاضطراب عقب توقيع الصلح بين أبي سعيد والناصر عام 723هـ/1323م؛ فبدأ دمرداش يتوجس خيفة من الناصر، وخطر في باله أن الناصر سيرسل أحد الفداوية لاغتياله، وهو ما دعاه إلى نشر الحراس على سائر الطرق المؤدية إلى حدود بلاده كي يأمن على حياته، وباتت مهمة هؤلاء الحراس عدم السماح لأي شخص بالمرور دون علمه⁽⁵⁵⁾.

الثابت أن الوحشة بين دمرداش والناصر كان لها أسبابها التي أوردتها المصادر من قبيل: قيام دمرداش بمنع إرسال المماليك إلى السلطنة المملوكية في مصر، إضافة إلى تربصه بالوافدين القادمين من مصر إلى بلاد الروم سواء للتجارة أو المرور، والتعدي عليهم⁽⁵⁶⁾.

بشتى الطرق حاول الناصر محمد استمالة دمرداش عن طريق الهدايا والأموال، غير أنه رفض هداياه، فما كان من السلطان الناصر إلا أن قام بالشكوى إلى والده جوبان من سوء تصرفاته، فأرسل من فورهِ إلى ابنه يعنفه وينكر عليه أفعاله في حق سلطان مصر، وآتت تلك الشكوى ثمارها نظراً لسلطة الوالد وشدته، فأمسك دمرداش عن جميع أفعاله

التي كانت سبباً في حنق الناصر محمد عليه، وتأكيداً لزوال الوحشة بينهما قبل دمرداش خلعة السلطان وهداياه، بل أرسل في مقابل ذلك هدايا عظيمة له، غير أن الحذر كان هو المسيطر على طبيعة العلاقة بين الطرفين⁽⁵⁷⁾.

تطورت الأحداث داخل الدولة المغولية بمقتل الأخ «دمشق خواجا» - كما سبق ذكره - وشرع أبو سعيد في أعمال المكر والمكيدة للتخلص من دمرداش، فأرسل رسله إليه لإحضاره بهدف تكريمه من قبل الخان، وأرسل في الوقت ذاته عدة رسائل إلى أمراء الروم، مضمونها القبض على دمرداش أو قتله، وحالما دخل الرسل حدود بلاد الروم قام حراس الطرق بتفتيشهم فوجدوا الرسائل فحملوهم ورسائلهم إلى دمرداش، الذي قام بتعذيبهم بشتى الوسائل إلى أن أقروا بمقتل أخيه «دمشق خواجا» وإخوته وأنصارهم على يد أبي سعيد، وقيامه بمصادرة أملاكهم، وإصدار أوامره بالقبض على الوالد جوبان وتصفيته، فما كان من دمرداش إلا أن قام بقتل الرسل، وقبض على أمراء الروم المدرجة أسماءهم في الرسائل وقام بتصفيتهم⁽⁵⁸⁾.

لم يكن الناصر محمد بمعزل عن تلك التطورات التي تحدث في الدولة المغولية عن طريق عيونه وجواسيسه الذين أرسلوا إليه خبر اغتيال «دمشق خواجا»، والبدء في التنكيل بأفراد أسرة جوبان، فضلاً عن أن أبا سعيد أرسل أيضاً كتاباً إلى الناصر يُخبره بتتبع جوبان، وإرسال الجيش طلباً لرأس دمرداش هو الآخر⁽⁵⁹⁾.

أمام تلك التطورات ضاقت الأرض بما رحبت على دمرداش فلم يجد بداً من التفكير في الوفود مستأمناً إلى الناصر محمد سلطان مصر، فكتب إليه يطلب الدخول في طاعته، ويستأذنه في جعله وجيوشه نائباً للسلطنة المملوكية في بلاد الروم⁽⁶⁰⁾، وكان هذا الكتاب مصدر ترحيب من الناصر إلا أنه اصطدم بالصلح الذي عُقد بينه وبين خان المغول أبي سعيد، وعليه أخذ الناصر في التسوية في الطلب المقدم من دمرداش، وحدد له مواعيد كثيرة يُرغبه فيها بالحضور⁽⁶¹⁾.

وقع دمرداش في حيرة من أمره، ووجد نفسه أمام أمرين؛ إما أن يبقى في بلاد الروم منتظراً جحافل خان المغول أبي سعيد للقضاء عليه، وإما أن يتوجه إلى سلطان مصر «فلا

يدري ما يتفق له؟»⁽⁶²⁾، واختار الوفود إلى مصر طمعاً في حماية الناصر محمد، الذي أذن له فعلياً بالوفود إلى الدولة المملوكية⁽⁶³⁾؛ ويبدو أن الأمير سيف الدين أيتمش الناصري المحمدي⁽⁶⁴⁾ كان له الدور البارز في ترجيح وفوده إلى مصر بعد أن «حلف له أيماناً معظمة عن السلطان»⁽⁶⁵⁾.

طبقاً للأعراف الدبلوماسية أوردت المصادر بعض الطقوس والمراسم التي كانت تحدث حال استقبال الوافدين إلى الدولة المملوكية؛ كانت تبدأ عندما يصل أمر السلطان إلى نوابه على البريد باستقبالهم، والعناية بهم واستضافتهم، وإنزالهم في مضافات تليق بهم مع منحهم كل ما يلزمهم من نفقات وطعام وتديير وسائل المواصلات من مراكب ودواب أو خيل البريد إلى أن يحين وقت رحيلهم إلى القاهرة لمقابلة السلطان إذا أذن بذلك، وعلى النواب تكليف من يرشدهم إلى الطريق مع تأمينهم وحراستهم حتى وصولهم إلى القاهرة⁽⁶⁶⁾، ومع اقتراب الوافدين من العاصمة تبدأ فاعليات المرحلة الثانية من مراسم الاستقبال، وهي دخولهم إلى القاهرة والاستعدادات اللازمة التي تيسر لهم سبل الراحة، إلى أن ينظر السلطان في أمر مقابلتهم من عدمه، وبعدها يتم إنزالهم في الأماكن المخصصة لهم من دور للضيافة وتخصيص الرواتب النقدية والعينية كل على حسب رتبته ومكانته. فما وضع الأمير دمرداش من هذه الطقوس؟

عقب ترحيب الناصر محمد باستقبال الأمير دمرداش شرع الأخير في تجهيز أمره بما يضمن حماية أسرته فأسكنهم إحدى القلاع الحصينة، ثم جمع ممتلكاته وأرسلها أصحابهم، ثم ركب بعساكره - كانوا ما بين ستمائة إلى ألف فارس - وافداً إلى السلطنة المملوكية دون أن يخبر جنوده بحقيقة وجهته؛ كي لا تترصده عيون الخان أبي سعيد، فيتم إلقاء القبض عليه⁽⁶⁷⁾.

حالما اقترب دمرداش من مدينة بهسنا⁽⁶⁸⁾ أعلن في جنوده أن وجهته إلى مصر، وخيرهم ما بين مصاحبته أو العودة إلى بلادهم، فانفض من حوله الكثير سوى خاصته وأقربائه وثقاته، ودخل مدينة بهسنا في حوالي ثلاثمائة فارس فاستقبله نائبها بكل ترحاب، وظل هذا الأمر يتكرر في كل منزلة تطوَّرها قدمه، حتى وصل إلى مدينة دمشق،

فاستقبله نائبها الأمير سيف الدين تنكز⁽⁶⁹⁾ بعد أن وصلتته الأخبار من قبل الناصر على خيل البريد بسرعة تجهيزه تمهيداً لدخول أرض مصر⁽⁷⁰⁾.

كان استقبال دمرداش كالمملوك غاية في الحفاوة والإكرام⁽⁷¹⁾؛ حيث أرسل الناصر لاستقباله كل من الجاشنكير⁽⁷²⁾ والمهمندار⁽⁷³⁾ بجميع الآلات الملوكية وكافة التجهيزات إلى مدينة غزة، حيث تلقياه بها، وأقام بها يومين، ثم استأنف مسيره إلى مصر، ولم يكن استقباله بالقاهرة أقل من سابقه، حيث استقبله الأمراء، لخروج الناصر للصيد في بر الجزيرة، فتم إحضاره إليه، وحينما مُثِّلَ بين يدي الناصر قَبْلَ الأرض ثلاث مرات، فرحب به السلطان «وأجلسه بالقرب منه وباسطه وطيب خاطره وسأله عن أحواله وألبسه تشریفاً عظيماً»⁽⁷⁴⁾، ثم مارس معه الصيد. وعاد الاثنان إلى قلعة الجبل حيث أسكن دمرداش في بيت الجاولي بها، ومنحه الناصر أعلى رتبة الإمارة⁽⁷⁵⁾، وأمر له بكل ما يحتاج إليه، وألزم الأمراء أن يدخل عليه الطعام بكرة وعشياً، وكعادة المملوك قام دمرداش بتقديم هديته للناصر محمد نظير استقباله بتلك الحفاوة، التي تنوعت بين المماليك والقماش الثمين والثياب الفاخرة⁽⁷⁶⁾.

كان على الناصر محمد أن يرتب وضع دمرداش داخل المجلس في قلعة الجبل، فأصدر أوامره إلى الحاجب أن يُجلسه في الميمنة تحت الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار⁽⁷⁷⁾، فحزن دمرداش لموضعه هذا؛ كونه سليل أسرة حكم عريقة، غير أن الناصر استدرك هذا الأمر وشرح له أن كبار مماليك أبيه المنصور قلاوون هم من قاموا بتربيته، لذا قام بتعظيمهم بوجودهم في مجلسه، وبيّن له أن جلوسه بجوارهم إنما هو تعظيم لقدره أيضاً فسكن غضبه⁽⁷⁸⁾، بل إن الناصر لم يلبث أن قام بنقل أحد كبار الحجاب من ميمنة المجلس إلى الميسرة وتم وضع الأمير دمرداش بدلاً منه ليطيب خاطره⁽⁷⁹⁾.

ويبدو أن كثيراً من أتباع دمرداش في بلاد الروم لم يطب لهم المقام في بلادهم، فطلبوا الوفود إليه في مصر، فاستأذن السلطان الناصر في ذلك فأذن له، وقدمت تلك الوفود المغولية إلى مصر وكانوا زهاء ستمائة فارس بأحمالهم وأثقالهم، من بينهم ابن عم الوالد جويان، فتم إكرامهم وإنزالهم جميعاً بدار الضيافة، ثم قام بتوزيعهم على كبار أمراء المماليك⁽⁸⁰⁾.

عظمت مكانة دمرداش أكثر لدى الناصر فأراد أن يمنحه إقطاعاً من إقطاعات بعض الأمراء؛ إلا أن الأمير بكتمر الحاجب⁸¹ رفض ذلك، محذراً إياه المساس بإقطاع الأمراء، وهو ما حدا الناصر محمد تخصيص مبلغ ألف درهم له من دخل مدينة قطيا إلى أن يخلي له أحد الإقطاعات، كما أصدر أوامره بأن يُطلق له من الخزانة والاصطبل السلطاني ما يشاء⁽⁸²⁾.

لم يقتصر الأمر على البلاط السلطاني في قلعة الجبل بل تعداه إلى عامة الناس الذين أمسوا يتلهفون لرؤية دمرداش؛ فكانوا ينتظرون مرور موكبه ليوقدوا الشموع بين القصرين، كما كانوا يجلسون على قارعة الطريق وعلى أسطح المنازل أملاً في رؤيته⁽⁸³⁾.

عرض الناصر محمد على دمرداش أن يقيم في ثغر الإسكندرية بعيداً عن عيون بني جلدته، إلا أنه رفض طلب السلطان، مفضلاً الإقامة بجوار الناصر، على أن يساعده في تنفيذ مشروعه؛ وهو إمداده بالقوات المملوكية لحرب خان المغول أبي سعيد⁽⁸⁴⁾.

ويطالعنا تساؤل هل أقام دمرداش بالإسكندرية؟ ثم طلب نقل إقامته إلى القاهرة في قلعة الجبل؟ خاصة في ظل تكتّم الناصر محمد لأخباره على الدولة المغولية؛ وما يدعونا إلى هذا الرأي أن أخته بغداد خاتون زوجة أبي سعيد عميت عليها أبناء أخيها، على رغم من أنها «كانت كثيرة التنقيب على أخبار أخيها»⁽⁸⁵⁾، إلى أن التقت برسول الناصر محمد بن قلاوون في بلاط الخان أبي سعيد، فطلبت منه أن يبلغ سلامها إلى الناصر، وأنها في مكانة «ابنته وجاريتها»، ومتى ما انتهى شيئاً أو طلب أمراً داخل الدولة المغولية، فلن يلبي هذا الطلب غيرها، وأغلب الظن أن هذه الكلمات المعسولة ما كانت إلا مقدمة لطلب شفاعتها لأخيها من قبل الناصر محمد، فحملت الرسول رغبة أكيدة في رؤية أخيها دمرداش، إلا أنه تعلل بأن هذا الأمر لا يتحدث فيه إلا الخان والسلطان الناصر، واقتنعت بكلامه، إلا أنها باغتته للمرة الثانية بأنها تستطلع أخبار أخيها من الوافدين إلى الدولة المغولية لمعرفة أحواله وأخباره، إلا أن الجميع لا يعلم شيئاً عنه، فطمأنها الرسول بأن الناصر عرض على أخيها أن يختار البلدان التي يقيم بها، فامتنع عن الإقامة بدمشق أو حلب أو البلدان القريبة من الحدود المملوكية المغولية حتى لا يكون هدفاً سهلاً من قبل أبي سعيد فيقدم على اغتياله من جهة،

ومن جهة أخرى حتى لا يتسرب الشك للسلطان الناصر أنه ينوي العودة مرة أخرى إلى بلاد الروم، واختار دمرداش برغبته أن يقيم في مدينة الإسكندرية لبعدها عن الدولة المغولية، إلا أن هذه الردود لم تشف غليلها فاكتفت بهز رأسها قائلة: يكون!!⁽⁸⁶⁾. ويبدو واضحاً من تلك الرواية أن دمرداش أقام بمدينة الإسكندرية فترة من الزمن، ثم انتقل إلى القاهرة، على حين قيل إنه رفض الذهاب إليها من الأساس، والباحث يميل إلى الرأي الأخير؛ لقصر الفترة الزمنية التي قضاها دمرداش في مصر منذ وفوده وحتى مقتله، إضافة إلى أن المصادر التي تعرضت لترجمته لم تذكر من قريب أو بعيد أنه وطأ أرض الإسكندرية.

إلى هذا التوقيت كانت الأمور تسير على ما يرام بين الناصر ودمرداش من جهة، وبين الوالد جوبان من جهة أخرى؛ بدليل أن الأمير المغولي شاهنشاه - ابن عم جوبان - كان موفداً إلى الناصر برسالة يخبره فيها بالمستجدات التي حدثت مع أبي سعيد⁽⁸⁷⁾، ومن الطبيعي في تلك المرحلة أن يغذي الناصر محمد كل ما من شأنه بذور الوقيعة في مملكة المغول، وهذا الأسلوب درج عليه سلاطين المماليك في صراعهم مع المغول.

عرض دمرداش على الناصر أن يُجهز الجيش المملوكي تمهيداً للزحف صوب بلاد الروم لتحقيق مشروعه التوسعي في تلك البلاد نكاية في خان المغول أبي سعيد، بيد أن الناصر أشار عليه بالترث ريثما ترد أخبار البريدية بمصير أبيه جوبان مع أبي سعيد، وأملاً في طمأنته أمر الناصر أحد أمرائه بالذهاب بخطاب من دمرداش لإحضار أسرته وأملاكه إلى مصر من قلعتهم الحصينة ببلاد الروم⁽⁸⁸⁾.

إلا أن تلك المهمة باءت بالفشل برفض الأسرة الوفود بحجة أنهم «لا حاجة لنا في مصر»، وزاد رسول الناصر محمد القول بأن هذا الرفض ما هو إلا اتفاق سري في الباطن بين دمرداش وأسرته، وأن مشروع وفوده إلى مصر ما هو إلا بغية السيطرة عليها واعتلاء عرشها!⁽⁸⁹⁾ ومن المرجح أن الناصر شعر بتلك الميول من قبل دمرداش الذي استقوى بفرسانه، فأراد أن يقلم أظافره؛ فأمره برد الكثير من فرسانه الوافدين معه عدا من يقوم على خدمته، فعاد الكثير منهم إلى بلاد الروم بعد أن منح كل واحد منهم مبلغ خمسمائة درهم وخلعة⁽⁹⁰⁾.

المبحث الثالث- أسباب نقمة الناصر محمد على دمرداش

الثابت أن علاقة الناصر بدمرداش شهدت تحولاً بمقتل أبيه جوبان؛ فحالما ورد الخبر بمقتله، تم اعتقال دمرداش في شعبان عام 728هـ/1327م، وكان وقع الاعتقال عليه عظيماً؛ فأصيب بصدمة جعلته يمكث «أياماً لا يأكل فيها شيئاً، إنما يشرب ماء ويأكل بطيخاً لما يجده في باطنه من النار»، وأخذ يردد خلال اعتقاله «هذا جزاء وأقل جزاء من يأمن إلى الملوك، ويسمع من كلامهم وأيمانهم»⁽⁹¹⁾، فما الأسباب التي جعلت الناصر يقدم على اعتقاله على رغم من حفاوة الاستقبال ومنحه الأمان من جهة؟ وعلى رغم من رفض بعض كبار الأمراء مثل الأمير سيف الدين تنكز نائب دمشق اعتقاله من جهة أخرى؟⁽⁹²⁾.

من قراءة شذرات النصوص الواردة في المصادر تُوصل إلى العديد من الأسباب؛ يأتي على رأسها الصلح الذي عقد بين خان المغول أبي سعيد والناصر محمد والذي وضع حداً لتوتر العلاقات بين الطرفين؛ وهو ما جعل الحرب تضع أوزارها بينهما، وكان للتخلص من العقل المدبر لتلك الأسرة - وهو النائب جوبان - أكبر الأثر في إقدام الناصر على اعتقاله⁽⁹³⁾، فحالما وصلت رسل أبي سعيد إلى الناصر كشفوا له حقيقة دمرداش، وبينوا له «فساد طويته وطوية أبيه جوبان وسعيهم في الأرض بالفساد والفتنة ما أوجب إعطائه باليد»⁽⁹⁴⁾، يشهد بذلك أيضاً ما أوردته المصادر من أن الاعتقال كان «لمصلحة اقتضاها رأيه، واختماداً للفتنة، وإبراء لذمته من اليمين التي حلفها، وذلك عندما انعقد الصلح بينه وبين الملك أبي سعيد»⁽⁹⁵⁾، غير أنه من المرجح أن الصلح بين الدولتين حدث في عام 723هـ/1323م، وهو وقت مبكر لوفود دمرداش إلى مصر، إضافة إلى أن بعضاً من بنود هذا الصلح لم تدخل حيز التنفيذ وتم تجميدها، ومع توجس أبي سعيد من دمرداش أرسل رسله مرة أخرى إلى مصر للتفاوض على تسليمه.

شرع الأمراء المماليك يخفون من روع دمرداش، ويبررون له أن الناصر ما أقدم على هذا الأمر إلا لمعرفة بوصول رسل المغول، ومن الكياسة والفتنة ألا تصل الأخبار إلى بلاط المغول بأن (الناصر محمد) بالغ في إكرامك، خاصة بعد أن عزم الطرفان على الصلح بين الدولتين⁽⁹⁶⁾.

عدّ الصفدي أيضاً أن الكرم والجدود المفرط الذي تميز به دمرداش كان «من أسباب هلاكه ، وإيقاعه في حبال الموت وأشراكه»⁽⁹⁷⁾؛ فكانت عطايه التي أنفقتها على الأمراء بسخاء ، وعلى عامة الشعب حال وفوده حدود الدولة المملوكية سبباً في حنق الناصر محمد عليه⁽⁹⁸⁾ ، وخير شاهد على ذلك أن الناصر متى ما بعث إليه «بكسوة أعطى هو للذي يوصلها أحسن منها إزراء على الملك الناصر»⁽⁹⁹⁾ .

فضلاً عن صفة الغرور التي نغمها سلطان مصر على دمرداش ، وأسرى بها إلى ممالكه متعجباً من كيفية سيره مختالاً بنفسه أمام السلطان⁽¹⁰⁰⁾ ، وكذا تكرر الأمر حين قام أحد الحجاب بإلباسه إحدى العباءات فألقاها عن كتفه ، وأقسم ألا يقوم بارتدائها إلا عن طريق أمير الحجاب⁽¹⁰¹⁾ ، فضلاً عن أن دمرداش استقوى بثروته واعتبر أن إقامته بمصر كأنه «ضامن انكسر لكم على مال ، حبستموني حتى أقوم به ، فإن كان شيء فالسيف ، وإلا فما في حبسي فائدة ، والله ما جزائي إلا أن أسمر على جمل ، ويطاف في بلادكم»⁽¹⁰²⁾ .

كما لم يجد الناصر حرجاً في تبرير سبب القبض على دمرداش من الترويح بين الأمراء بأنه استولى على أموال عامة الشعب في بلاد الروم ، وأنه ظلمهم ظلماً فاحشاً⁽¹⁰³⁾ ، ناهيك من سياسة الوقعة التي اتبعها بين الأمراء وخاصة السلطان وحاشيته مما زادت الناصر حنقاً عليه⁽¹⁰⁴⁾ .

وزاد أيضاً رسول الناصر محمد إلى بلاد الروم في غضب السلطان على دمرداش ؛ حين أرسل إليه يخبره بأن أسرة دمرداش لا تريد الوفود إلى مصر ، وأنهم يتراسلون سراً معه ، بل أخبره أن وفوده إلى مصر يأتي «طمعاً في ملكها» ، خاصة أن يده ملوثة بدماء الكثير من المسلمين في بلاد الروم⁽¹⁰⁵⁾ ، وكان مضمون تلك الرسالة كافياً لاعتقاله من قبل الناصر خوفاً على سلطانه .

زادت حدة الغضب أكثر ضد دمرداش حين قام الرسول بإرسال رسالته صحيحة نجم الدين إسحق الرومي⁽¹⁰⁶⁾ صاحب قلعة أنطالية⁽¹⁰⁷⁾ ؛ وهي القلعة التي اقتحمها دمرداش من قبل وقتل والد نجم الدين المذكور ، فكان إرساله إلى مصر لطلب القصاص من دمرداش ، وكان على الناصر أن يجمع الطرفين ليحاققهما بحضور الأمراء المماليك ، وتبين في نهاية

الأمر أن كلاً منهما قتل لصاحبه قتيلاً، ومذاك تبين للناصر محمد «حُبث نية تيمورتاش، فقبضه وأمسك من معه من الأعيان»، وسجنوا جميعاً في قلعة الجبل⁽¹⁰⁸⁾.

إذا كنا نبحث عن السبب الرئيسي الذي استوجب اعتقال دمرداش وقتله في نهاية المطاف، فلا بد من معرفة طبيعة العلاقة بين الناصر محمد والخان أبي سعيد قبيل عقد الصلح بينهما وبعده؛ فقبل عقد الصلح كان الخان أبوسعيد يملك الجواد الرابح وفرس الرهان الذي من شأنه تهديد الدولة المملوكية؛ ونقصد به الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري⁽¹⁰⁹⁾؛ الذي وفد إلى بلاط الدولة المغولية هروباً من انتقام الناصر؛ ولم يأل جهداً في إرسال جيوش من الفداوية للقضاء عليه؛ نظراً لضلوعه في اغتيال أخيه السلطان الأشرف خليل بن قلاوون من ناحية، ومن ناحية أخرى معرفته بكل صغيرة وكبيرة داخل البلاط المملوكي؛ وهو ما شكل تهديداً جذرياً للسلطنة المملوكية في حربها مع المغول، وهذا ما جعل خان المغول أبا سعيد يفتح له بلاطه ويُغدق عليه من هباته، ويكرس كل أمراء الدولة المغولية لحمايته والاستفادة منه، بل وصل الأمر إلى أن بنود الصلح التي وضعها أبوسعيد - قبل أن يتبدل الحال - كانت تتضمن شرطاً جذرياً، هو عدم تسليم الأمير قراسنقر للسلطنة المملوكية.

انقلبت الأوضاع وتبدل الحال وأراد الناصر محمد أن يذيق أبا سعيد من الكأس نفسها، ففتح بلاطه لوفود الأمير دمرداش نكايه في خان المغول؛ نظراً للمكانة التي كان يتمتع بها هذا الأمير في الدولة المغولية؛ كونه سليل أسرة حاكمة عريقة تبوأ أرفع المناصب، وبالغ في استقباله بكل مظاهر الحفاوة والإكرام، كما سبق أن أسلفنا.

أرسل الأمير سيف الدين إيتمش إلى الخان أبي سعيد يخبره بوفود دمرداش إلى بلاطه، ولعل تلك السفارة كان مضمونها الباطني التشفي في رد فعل خان المغول، الذي استقبل قراسنقر من قبل بكل الحفاوة أيضاً نكايه في الناصر محمد، وهنا أحس الخان بخطورة الأمر، وبدأت المصالح الشخصية تطغى على كلا الطرفين، فأرسل الخان رسله في الحال لمقابلة الناصر للتأكد من صحة هذه الأخبار، فاستقبلهم الناصر بكل حفاوة، ثم أرسلهم بصحبة أحد الحجاب إلى مقر اعتقال دمرداش في قلعة الجبل؛ حيث تناوبوا الحديث

معه ، ويبدو أن تأكدهم من وجوده معتقلاً فتح باب التفاوض مع السلطان الناصر بشأنه .

غير أن المصادر المملوكية تضاربت فيمن قدم العرض أولاً؛ أهو خان المغول أبو سعيد أم السلطان المملوكي الناصر محمد؟ فذكر أغلبها أن أباسعيد أرسل رسوله وعرض على الناصر صفقة تبادلية تقضي بتسليم دمرداش حياً أو ميتاً مقابل أن يسلمه قراسنقر⁽¹¹⁰⁾. بينما ذهب أحد المؤرخين إلى أن الناصر حين قدمت عليه رسل المغول في طلب الصلح اشترط عليهم أن يقوموا بتسليم قراسنقر أولاً مقابل حز رأس دمرداش⁽¹¹¹⁾.

كان لا بد أن تتغير السياسة المغولية في التعامل مع تلك القضية بما يضمن مصلحة الدولة لا الأفراد في المقام الأول، وبعد أن كان أبو سعيد وضع شرطاً - من قبل - بعدم تسليم قراسنقر مطلقاً، رضخ في نهاية المطاف لمستجدات الأحداث، ولم ير حرجاً في أن يطلب من الناصر تسليم رأس دمرداش في مقابل رأس قراسنقر!

تلاحقت الأحداث بشكل سريع منذ وفود دمرداش إلى الدولة المملوكية عام 728هـ/1327م، وصار كل من البلاط المملوكي والبلاط المغولي - على حد سواء - مكتظاً بالسفراء والرسول من الطرفين للوصول إلى تسوية تضمن مصلحة كل منهما في المقام الأول، وعدم تكدير أو اصر الصلح التي جرت بين المملكتين .

الثابت أن أباسعيد كان يمني نفسه بحز رأس دمرداش بنفسه؛ فأرسل السفراء إلى الناصر يطلبونه حياً، بيد أن الناصر رفض ذلك قائلاً: «ما أسيره حياً، ولكن خذوا رأسه»⁽¹¹²⁾.

من المرجح أن مصلحة الناصر محمد بن قلاوون التقت مع خان المغول، وأصبح لكل منهما ورقة رابحة يلوح بها؛ فالناصر محمد تم اغتيال أخيه الأشرف على يد ثلة من الأمراء على رأسهم بيدرا ومن بينهم الأمير قراسنقر، والجدير بالذكر أن الناصر انتقم من جميعهم عدا هذا الأمير؛ الذي نجا بجلده وافداً إلى بلاط الدولة المغولية، وباءت كل محاولات الناصر بالفشل لاسترداد أميره بالترغيب تارة، وبالتهديد والوعيد تارة أخرى، وفي نهاية المطاف أرسل جيوشاً من الفداوية لاغتياله في بلاط المغول .

ومما لا شك فيه أن أباسعيد كان يتعجب من إصرار الناصر - قبيل عقد الصلح - على اغتيال الأمير قراسنقر على الرغم من عظم مكانته السابقة في البلاط المملوكي؛ إلا أن

رسول الناصر أطلعه على السر وراء إصراره على قتل قراسنقر مستشهداً بقول الناصر : «إن هذا مملوكي ومملوك أخي ومملوك أبي ، وقد قتل أخي ، وما أرجع عن ثأر أخي ولو أنفقت خزائن مصر على قتل هذا»⁽¹¹³⁾ .

أيقن الناصر إذن أنه لا سبيل لاغتيال قراسنقر إلا بالتفاوض مع خان المغول أبي سعيد بغية تسليمه مقابل جز رأس دمرداش ، ولإقرار هذا الاتفاق أرسل الناصر الأمير أيتمش المحمدي مرة أخرى لأبي سعيد لتفعيل بنود هذا الاتفاق ، غير أن بعض المصادر ذكرت أن رسل المغول حالما حضرت لتسلم رأس دمرداش تردد الناصر ، وبدا وكأنه شرع في الرجوع عن تسليمه إليهم⁽¹¹⁴⁾ ، إلا أنه في نهاية المطاف رضخ للاتفاق ، وأخرج دمرداش من معتقله ببرج القلعة مقيداً بالأغلال تمهيداً لتنفيذ عقوبة الخنق بحقه داخل باب القرافة بقلعة الجبل ، على الرغم من معارضة الأمير تنكز لقتله مثلما عارض من قبل عملية اعتقاله⁽¹¹⁵⁾ .

صدقت مقولة دمرداش حال اعتقاله بأنه لا سبيل لأمان الملوك للوافدين إذا ما تعارض ذلك مع مصلحتهم الشخصية ؛ فأخذ يصرخ مستنكراً ومستنجداً بالأمير سيف الدين أيتمش الذي حلف له بأغلظ الأيمان والمواثيق على أن الناصر محمد منحه الأمان وافداً مستأمناً داخل الأراضي المملوكية ؛ لذا توارى أيتمش خجلاً بين جموع الحاضرين حتى لا يراه⁽¹¹⁶⁾ .

حانت لحظة خنق دمرداش وإعدامه فصرخ في الأمراء ساخراً منهم : «ما معكم سيف ، لأي شيء هذا الخنق؟» ، غير أن صرخاته ذهبت أدراج الرياح ، وتم تنفيذ عقوبة الخنق بحقه في حضور رسل المغول ، وحزت رأسه في الرابع من شهر شوال عام 728هـ / 1327م ، وتم تجهيزها تمهيداً لسفرها صحبتهم على خيل البريد إلى أبي سعيد ، ودفن الجثمان خارج باب القرافة عند تربة الفارس أقطاي⁽¹¹⁷⁾ ، وتأسف الناس عليه لجوده وكرمه وفروسيته⁽¹¹⁸⁾ .

أوفى الناصر باتفاقه مع الخان وحزّ رأس دمرداش ، وأرسلها إلى خان المغول أبي سعيد مع خطاب منه مخاطباً إياه قائلاً : «قد جهزت إليك رأس غريمك ، فجهز لي رأس غريمي» ، وهو يقصد الأمير قراسنقر⁽¹¹⁹⁾ . على أن الأقدار أتته على غير رغبته ؛ فحالما وصلت رأس

دمرداش إلى أبي سعيد لحقت الوفاة قراسنقر فتوفي ببلدة مراغة - من عمل أذربيجان - ميته طبيعية حتف أنفه بمرض الإسهال⁽¹²⁰⁾؛ مما جعل الصفدي يعقب بأنه «كان يرى أخذ الأموال، ولا يرى إراقة الدماء، فحقن الله دمه، وأذهب ماله»⁽¹²¹⁾.

اكتنف الغموض المصادر فيما يتعلق بمقتل دمرداش وقراسنقر على حد سواء؛ فعلى حين نجد ابن كثير غير متأكد من قيام الناصر بقتل دمرداش معقّباً بقوله: «قتله صاحب مصر فيما قيل»⁽¹²²⁾، ذهب الرحالة ابن بطوطة إلى أن قراسنقر لم يمت ميته طبيعية؛ فبمجرد أن وصلت إليه أخبار الاتفاق الذي حدث بين أبي سعيد والناصر، وأن رأس دمرداش وصلت بالفعل إلى خان المغول الذي أمر بدوره بتسليم قراسنقر للملك الناصر؛ فما كان من قراسنقر إلا أن تجرع السم من خاتمه المجوف فمات في الحال⁽¹²³⁾. غير أن السنخوي ذكر أن موت قراسنقر كان قبل مقتل دمرداش على يد الناصر⁽¹²⁴⁾.

غير أن اللافت للنظر رأي أحد المؤرخين المعاصرين للناصر محمد الذي أورد أن دمرداش توفي بعد فترة قصيرة عقب وفوده إلى مصر بسبب وعكة صحية أصيب بها في نفس عام وفاته⁽¹²⁵⁾، ومن المؤكد أن هذا المؤرخ أراد أن يُبعد عن الناصر محمد شبهة التعمد في قتله، خاصة أنه يُعد من مؤرخي البلاط الذين أرخوا للسلطان، وسقط أسيراً لإنعاماته، فباتت كتاباته عن الناصر تتسم بعدم الموضوعية.

والمرجح لدى الباحث اعتماداً على أقرب الروايات الواردة في المصادر المعاصرة والقريبة من الحدث زمنياً أن (الناصر محمد) عمد إلى قتل دمرداش بعد أن عقد اتفاقاً مع خان المغول أبي سعيد يتم بمقتضاه تسليم رأس الأمير دمرداش لخان المغول، مقابل تسليم رأس الأمير قراسنقر لسلطان مصر، ورأى المؤرخون في ظلم دمرداش لرعيته وسفك دماء المسلمين في بلاد الروم ذريعة لتبرير قتل الناصر محمد له.

نُسجت الأساطير من جراء مقتل دمرداش فظهر المنجمون ومنهم سعيد بن البغدادى الذي أورد اليوسفي عنه أنه تنبأ بمقتله في الشهر الذي وفد فيه إلى مصر قائلاً: «يرد لمصر ملك من ملوك الشرق ويموت بها، وكذلك وقع»⁽¹²⁶⁾، والثابت أن تلك الروايات الخرافية تنشط عادة عقب وفاة إحدى الشخصيات المهمة في البلاط المملوكي.

على أية حال طلب أمراء المغول من أبي سعيد أن يحز رأس قراسنقر - طبقاً للاتفاق - ويرسلها إلى الناصر، إلا أنه رفض ذلك قائلاً: «إن الله أماته بأجله ولم أقتله أنا»⁽¹²⁷⁾، وأرسل للناصر مخبراً إياه: «لو كنت أنا قتلته لأرسلت لك برأسه»⁽¹²⁸⁾، على حين خالف ابن خلدون جميع المصادر بأن الناصر اشترط على أبي سعيد رأس قراسنقر، وأقر بأن المغول «قتلوه جزاء بما كان عليه من الفساد في الأرض»⁽¹²⁹⁾، وهذا مناقض لما ورد بجمل المصادر المملوكية.

حالما وصلت الأخبار إلى الناصر بموت قراسنقر ميتة لم تشف غليله وتُرضي شهوته تحسر قائلاً: «والله ما كنت أشتهي أن يموت إلا تحت سيفي، وأكون قد قدرت عليه وبلغت مقصودي، ولكن الرجل حصين ووهب الله له أن يموت على فراشه»⁽¹³⁰⁾.

أراد ممالك الأمير دمرداش الانتقام لما حل بسيدهم؛ فدبروا مؤامرة سرية في عام 732هـ/1331م للتخلص من بعض كبار الأمراء المماليك حال خروجهم من صلاة الجمعة، ووصلت خيوط تلك المؤامرة إلى الأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير⁽¹³¹⁾ من بعض مماليكه، الذي أسر إليه بأن ممالك دمرداش راسلوا بعضهم سراً وحددوا ساعة الوثوب على الأمراء المماليك، فأطلع الناصر على خيوط تلك المؤامرة، فأصدر أوامره بتتبع جميع أمراء دمرداش الذين وفدوا معه، وتم القبض عليهم جميعاً، وتحت وطأة التعذيب اعترفوا بمؤامرتهم، وتبعاً لذلك أصدر الناصر عقوبة الإعدام بحق بعضهم، وسُجن البعض الآخر⁽¹³²⁾.

المبحث الرابع - إشكالية ظهور شبده دمرداش

على أن المصادر طالعنا بأمر غريب في عام 737هـ/1336م؛ حيث وردت الأخبار إلى الناصر محمد بن قلاوون بأن دمرداش ما زال حياً يرزق في مستقر مملكته ببلاد الروم، وهو ما شكل صدمة وقلقاً له؛ وساورته الشكوك في خيانة أمرائه له بعدم قتل دمرداش، فأمر في الحال بنيش قبره واستخراج عظامه من تربته بباب القرافة بقلعة الجبل، ولم يزل على تلك الحالة من الشك في أمرائه⁽¹³³⁾. غير أن الصفدي نفى شبهة الخيانة بصورة قاطعة عن أمراء الناصر محمد، مؤكداً أن دمرداش الحقيقي قُتل بالفعل، «وقطع رأسه بحضور

أمناء السلطان ومماليكه الأمناء الخواص الذين لا يتجاسرون مع مهابة أستاذهم على وقوع شيء من ذلك»⁽¹³⁴⁾.

ذكر ابن أبي الفضائل أنه حكم بلاد الروم بعد مقتل دمرداش شخص يشبهه تماماً مدعياً أنه هو، ومبدأ ظهوره أنه كان أحد مماليك دمرداش، وشغل منصب الدوادية⁽¹³⁵⁾، «وكان أشبه الخلق بصورة تيمورتاش، حتى إنه إذا جلس إلى جانبه ما يُفرق بينهما»⁽¹³⁶⁾.

وحالما تصاعدت وتيرة الأحداث داخل المملكة المغولية من نكبة أسرة جويان وأولاده فرّ دمرداش وافداً إلى الديار المصرية، واستخلف شبيهه بعد أن أوصاه بوصايا كثيرة وأودع عنده أمواله وخزائنه، وطلب منه أنه متى استتب له الأمر بمصر وطلب حضور أهله وأسرته وفد معهم ليسلمه الأموال التي تركها عنده على سبيل الأمانة، واتفق على أن المراسلات التي ستتم بينهما سيكون عليها علامة مميزة ضماناً لصحتها⁽¹³⁷⁾.

على أن الشبيه تواترت إليه الأخبار بمقتل دمرداش على يد الناصر، فاستغل موهبته ومعرفته بدقائق الأمور عن دمرداش، وخبرته في تدبير أمور الدولة، فقويت عزيمته وسولت له نفسه أن يحل محل دمرداش، فركب إلى القلعة التي فيها أولاد دمرداش وزوجته وأمواله، ولما التقى بهم اختلق قصة من وحي خياله، مؤداها أنه الأمير دمرداش بن جويان وأنه هرب من معتقل الملك الناصر عن طريق العربان إلى بلاد الحجاز، ثم عاد من الحجاز إلى بلاد الروم مستقر حكمه، وإمعاناً في حبكة روايته أخبرهم أن الناصر أحس بالحرَج بعد هروبه، لذا أشاع أنه قتله حتى يحفظ هيئته، وبحث عن شبيه له وقام بقطع رأسه وأرسلها إلى أبي سعيد، ثم قام الشبيه بإخراج الأموال التي تركها دمرداش عنده، وأعطاه إياهم كي لا تساورهم الشكوك في أمره⁽¹³⁸⁾، والمثير للدهشة أن «أولاد تيمورتاش ونساءه وأهله وافقوه على ذلك»، فأمسى بينهم كما كان دمرداش من قبل⁽¹³⁹⁾، ووصل نفوذه إلى حد ممارسة مهام الزوجية مع زوجة دمرداش⁽¹⁴⁰⁾!

انتشر أمر شبيه دمرداش في الأوساط المغولية، فازدحم البلاط بوفود الأمراء والناس عليه طمعاً في كرمه وإنعاماته التي اشتهر بها، وأمسى يمارس تدبير مهام بلاد الروم مرة ثانية، وأكثر من الاحتفالات، وأنفق عليها أموالاً طائلة، وكان موكبه عظيماً يصاحبه فيه

أولاد دمرداش يحجبونه عن العامة، وإمعاناً في الحذر الشديد حجب وجهه بساتر حتى لا يراه الناس ويتحققوا منه؛ مبرراً ذلك بالخوف من الفداوية الذين يبعثهم الناصر محمد سلطان مصر للانتقام منه وتصفيته⁽¹⁴¹⁾، وزادت سطوته لدرجة أنه طمع في ممتلكات مصر والشام، وأراد اجتياحهما حتى «خيف على الشام ومصر منه»⁽¹⁴²⁾.

من المرجح أن الابن الأكبر لدمرداش بدأت تساوره الشكوك من شبيهه أبيه؛ وخير شاهد على ذلك ما رواه المؤرخ ابن أبي الفضائل من أن الشبيه عزم على التخلص من بعض أمراء المغول، ثم مواصلة زحفه لاجتياح بلاد الشام، إلا أن أحد أمراء المغول وهو الشيخ حسن الكبير بادر للقاء الابن، وأخبره بخوفه من القتل على يد الشبيه، إلا أن الابن أجاره وأعطاه الأمان على نفسه وحياته، ثم التقى الابن بالشبيه الذي أخذ يوغر صدره على الشيخ حسن، وأنه يؤلب العسكر عليه، وبات يمثل شوكة في ظهره يجب القضاء عليها، إلا أن الابن دافع عن الشيخ باستماتة، مخبراً إياه بأنه لجأ إلى بلاطنا وأعطينا الأمان ولا يجوز الغدر به، بيد أن الشبيه أصر على قتله، فما كان من الابن إلا أن حسم الأمر معه قائلاً: «هذا الرجل دخل تحت ذيلي، وأمنته، وما بقي أحد يصل إليه بمكره»، فاستشاط الشبيه غضباً، ونهر الابن بغليظ القول، فخرج من المجلس والتقى بالشيخ حسن ليطيب خاطره، وأخبره بانتحال الشبيه لشخص أبيه قائلاً: «ليس هو أبي، ولكنه كذب علينا، وتم له ما تم»⁽¹⁴³⁾.

عزم الابن والشيخ حسن على الانتقام من شبيه دمرداش، فتجمعوا مع مجموعة من الأمراء الثقات، واقتحموا عليه منزله وأخرجوه ليلاً، وتمكن الابن من ضرب رقبتة، وتولى حكم بلاد الروم بدلاً منه، وصار الشيخ حسن بمثابة النائب لابن دمرداش، والمثير للدهشة أن هذا الشبيه ظل على حكم بلاد الروم طوال مدة أربع سنوات⁽¹⁴⁴⁾.

على أن ابن حجر ذهب بعيداً حين أورد أن ملك خراسان وأنصاره تمكنوا من الوثوب على شبيه دمرداش دون قتله، وتمكنوا من طرده من الإقليم، فوفد إلى العراق متنكراً في زيّ الصوفية، «ثم خمل ذكره، وقتل» وذلك في عام 739هـ/ 1338م⁽¹⁴⁵⁾. وتلك الرواية بعيدة نسبياً عن الصحة لبعدها عن مسرح الأحداث، كما أن حجم الجرم الذي اقترفه

شبيه دمرداش لا يتناسب مع عقوبة طرده، زد على ذلك اتفاق روايات المصادر المعاصرة أو القرية زمنياً من الأحداث على بداية ظهوره واستفحال أمره في عام 737هـ/ 1336م ووفاته في عام 741هـ/ 1340م.

اللافت للنظر أن المصادر تروي أن بداية ظهوره كان عقب وفاة دمرداش بنحو تسع سنوات أي في عام 737هـ/ 1336م⁽¹⁴⁶⁾، وأن مقتل الشبيه كان قبل وفاة الناصر بثلاثة أيام؛ أي أنه توفي عام 741هـ/ 1340م؛ بعد أن حكم مدة أربع سنوات؛ وهذا لا يستقيم مع رواية المصادر نفسها التي ذكرت أنه تحرك نحو حكم بلاد الروم بمجرد علمه بمقتل دمرداش في عام 728هـ/ 1327م، فكيف تصدق الأسرة عودته من الموت عقب تسع سنوات كاملة!⁽¹⁴⁷⁾ وعليه يمكن التراجع بأن الاختلال الزمني في ترتيب الأحداث منذ مقتل دمرداش وبين ظهور شبيهه يوحي بعدم مصداقية تلك الرواية حتى وإن وردت في مصادر معاصرة كونها بعيدة عن المسرح الجغرافي لبلاد الروم من ناحية، ومن ناحية أخرى لعدم منطقية جهل الزوجة بزوجها الحقيقي، والتفسير المنطقي الوحيد لصحة هذه القصة هي أن تكون أسرة دمرداش نسجتها بمعرفة الزوجة والأبناء، خاصة أن نص «النهج السديد» يذكر أن الشبيه تزوج زوجة دمرداش، فكيف للزوج أن يتزوج زوجته مرة ثانية!!؟ ومع فرضية صحة تلك الحجة يتضح أن ذلك الشبيه انقلب على الزوجة والأبناء فكان لا بد من التخلص منه باختراع رواية اكتشاف الابن الأكبر لهذا المنتحل!

نخلص مما سبق أنه على الرغم من عظم مكانة دمرداش وقراسنقر في الدولتين المغولية والمملوكية على الترتيب فإن ذلك لم يشفع لهما حينما التقت مصالح سلطان مصر الناصر محمد مع خان المغول أبي سعيد، فُضِرَ بالعهود والمواثيق عرض الحائط، وتم عقد صفقة بين الطرفين تقضي بحز رأس غريم كل خصم؛ فالناصر محمد في سبيل القضاء على قراسنقر طلباً لثأر أخيه الأشرف خليل سعى بكل سبيل مع خان المغول لتحقيق رغبته، وعلى الجانب الآخر سعى أبو سعيد للتخلص من آخر أفراد أسرة جوبان التي وصلت إلى قمة المجد في عهده، وصدقت مقولة دمرداش وقت إعدامه بأنه لا أمان للملوك حينما تلتقي المصالح الشخصية، فلا أعراف ولا رسوم دبلوماسية ولا عزاء للوفاد المستأمن في الدولتين المغولية والمملوكية.

العوامش والمراجع

- (1) عُرف المغول بأنهم الوافدون إلى الدولة المملوكية بالأويراتية أو العويراتية، وأسكنهم سلاطين المماليك في أحياء خاصة بهم، وخصصوا لهم الرواتب النقدية والعينية، وتدرجوا في رتب الإمارة، إلا أن بعضهم تم القبض عليه بتهم التجسس لصالح المغول. للمزيد عن هذا النظام، وأعداد المغول والصليبيين الوافدين إلى الدولة المملوكية، والهارين إلى كنف الدولة المغولية انظر بالتفصيل: عيد، عبدالله، الوافدون (الصليبيون - المغول) إلى مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي (923-567 هـ / 1171-1517م)، رسالة دكتوراه بأداب المنصورة، القاهرة 2015؛ Ayalon, D., The Wafidia in the Mamluk Kingdom, Islamic Culture, 25 (1951).
- (2) للمزيد بالتفصيل عن تلك الدوافع والأمثلة عليها انظر: الوافدون (الصليبيون - المغول) إلى مصر، ص 14 وما بعدها.
- (3) اشتهر مغول جنوب روسيا بمغول القبيلة الذهبية نسبة إلى خيام معسكراتهم المطلية باللون الذهبي، أو بمغول القفجاق نسبة إلى مكان نشأتهم ببلاد القفجاق، كما غلب على تسميتهم بيت بركة؛ بمعنى هذه مملكة بركة خان بن جوجي بن جنكيزخان، وكان بركة خان أول أمير مغولي يعتنق الإسلام، وتحالف معه الظاهر بيبرس ضد مغول فارس، وتزوج من ابنته، وأنجب ابنه الملك السعيد بركة خان، واعتمد عليهم سلاطين المماليك كحليف عسكري إستراتيجي في نقل الأخبار والمعلومات من داخل معسكر مغول فارس. للمزيد انظر: ابن يبيي، أخبار سلاجقة الروم (مختصر سلجوق نامه)، ترجمة: محمد السعيد جمال الدين، الدوحة: جامعة قطر، 1994، ص 300؛ الحججي، حياة ناصر، العلاقة بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق: في الفترة ما بين 658 - 741 هـ / 1260 - 1314م، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 8، 1981.
- (4) ابن عبدالظاهر، عبدالله بن رشيد الدين: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبدالعزيز الخويطر، الرياض: (د.ن)، 1976، ص 137 - 138؛ بيبرس، ركن الدين الدوادار الناصري: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة عطا، القاهرة: دار عين للدراسات، 2001م، ص 112 - 114؛ المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي: الخطط المقرئية، ج3، بيروت: دار الكتب العلمية 1418هـ، ص 211؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997، ص 561؛ أبو شامة، عبدالرحمن بن إسماعيل: الذيل على الروضتين المعروف بتراجم رجال القرنين السادس والسابع، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، بيروت: دار الجيل، 1974، ص 220؛ الرمزي، محمد مراد مكي: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، أورنبورغ: (ب.ت)، ص 428 - 431؛ الحججي، حياة ناصر: دراسات في تاريخ سلطنة المماليك في مصر والشام، الكويت: مؤسسة الصباح، 1985، ص 146 - 148؛ حمدي، حافظ أحمد: الدولة الخوارزمية والمغول، القاهرة: (د.ن)، 1949، ص 242 - 243.

- (5) أحياناً ما يرد اسمه في المصادر «بوسعيد» وتارة أخرى «أبوسعيد»، وسيقتصر الباحث في هذا البحث على صيغة «أبوسعيد».
- (6) ابن دقماق، إبراهيم بن محمد: النفحة المسكية في الدولة التركية، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت: المكتبة العصرية، 1999، ص 130.
- (7) ابن أبيك الدواداري، أبو بكر بن عبدالله: كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت رومير، ج 9، القاهرة: المعهد الألماني، 1960، ص 345؛ ابن حبيب، الحسن بن عمر: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، سعيد عاشور، ج 2، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1983، ص 180؛ مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق: زيترشتين، ليدن 1919م، ص 179؛ ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، ج 2، الهند: حيدرآباد، 1972، ص 62. والاسم بمشتقاته المختلفة يعني حجر الحديد وهو يدل على القوة والشجاعة، وتم اختيار دمرداش لورود ذكره عند ابن الدواداري الذي يعد من مؤرخي البلاط المعاصرين للناصر محمد بن قلاوون.
- (8) البديسي، شرف خان: شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، راجعه: يحيى الخشاب، ج 2، القاهرة: (د.ن.)، 1962م، ص 30.
- (9) الجزري، محمد بن إبراهيم: تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ج 2، بيروت: المكتبة العصرية، 1998م، ص 253؛ ابن كثير، عمادالدين إسماعيل: البداية والنهاية، ج 14، بيروت: دار الفكر، 1986، ص 100، 133؛ الدرر الكامنة، ج 2، ص 228.
- (10) الصفدي، خليل بن أبيك: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين، ج 2، بيروت: دار الفكر، 1988م، ص 26؛ الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، ج 2، بيروت: دار إحياء التراث، 2000، ص 153.
- (11) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد: رحلة ابن بطوطة، ج 2، الرباط: أكاديمية المغرب، 1417هـ، ص 71.
- (12) من أهم أعماله قيامه بتوصيل الماء إلى مكة المكرمة عام 726هـ/1325م؛ بحيث «لم يبق للماء ثمن يُباع به»، وأنشأ مدرسة رائعة بجوار الحرم النبوي الشريف، وتربة بالمدينة ليُدفن بها، لعب دوراً مهماً في رفع حصار المغول عن مدينة الرحبة عام 712هـ/1312م، إلى غير ذلك من أفعال البر التي تميز بها هذا الأمير، بيد أن العلاقة ساءت بينه وبين خان المغول مما أدى إلى قتله، ودفن بالقبعة بالمدينة. للمزيد انظر: كنز الدرر، ج 9، ص 345 - 346؛ تذكرة النبيه، ج 2، ص 181؛ شرفنامه، ج 2، ص 30؛ أعيان العصر، ج 2، ص 169 - 171؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ج 5، بيروت 1988: دار الفكر، ص 498؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: دول الإسلام، تحقيق: حسن مروة، محمود الأرناؤوط، ج 2، بيروت: دار صادر، 1999، ص 272؛ ذيل تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام،

- تحقيق: مازن بن سالم باوزير، ج53، الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع، (ب.ت)، ص337 - 338؛ ابن الوردى، عمر بن مظفر: تنمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق: أحمد رفعت، ج2، بيروت: دار المعرفة، 1970، ص405؛ ابن العراقي، ولي الدين أبي زرعة: الذيل على العبر في خبر من غير، تحقيق: صالح مهدي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1989، ص159 - 160؛ الدرر الكامنة، ج2، ص92 - 93.
- (13) أبو الفدا، إسماعيل بن علي: المختصر في أخبار البشر، ج4، القاهرة: المطبعة الحسينية، (ب.ت)، ص99؛ البداية والنهاية، ج14، ص135؛ ابن حبيب، الحسن بن عمر: درة الأسلاك في دولة الأتراك، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 6170 تاريخ، ورقة129؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن: الدليل الشافى على المنهل الصافى، تحقيق: فهيم شلتوت، ج1، مكة المكرمة: (د.ن)، 1979، ص224؛ النفحة المسكية في الدولة التركية، ص130. خلف دمرداش من الأولاد الشَّيخ حسن، ومصر ملك، وجمدغان، ووبر حسن، وتودان وشيدون، وأفاض الصفدي في ذكر ترجمة ابنه الشيخ حسن الصغير تميزاً له عن الشيخ حسن الكبير زوج عمته «بغداد خاتون» وأخت دمرداش. للمزيد عن أسرته وأولاده انظر: الوافى بالوفيات، ج10، ص249؛ أعيان العصر، ج2، ص115، 192؛ كدرو، نرجس، المرأة ودورها الحضارى في عصر المغول في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه بأداب عين شمس 2012، ص161 - 163، 214.
- (14) حوادث الزمان، ج2، ص254؛ البداية والنهاية، ج14، ص133؛ تنمة المختصر، ج2، ص405.
- (15) الدرر الكامنة، ج2، ص62.
- (16) الدرر الكامنة، ج2، ص62.
- (17) وتُنطق أيضاً قطية، تعد أحد أهم موانى مصر في العصور الإسلامية وكانت بمثابة جمر ك مصر من الناحية الشرقية، وهي قرية صغيرة بها تؤخذ المرتبات السلطانية من التجار الواردين إلى مصر والصادر من عنها، وهناك رمل بالطريق يختم في الليل ويحفظ ما حوله بالعربان، حتى لا يمر أحد ليلاً، بل وعُدت أيضاً أحد أهم مراكز خيل البريد البري لنقل الرسائل، كما وجد بها مطار للحمام الزاجل، إضافة إلى مركز للهجن (الجمال). انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص423، 438، 443.
- (18) أعيان العصر، ج2، ص112 - 113؛ الوافى بالوفيات، ج10، ص248؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص109؛ المنهل الصافى، ج4، ص140.
- (19) المختصر في أخبار البشر، ج4، ص99.
- (20) المختصر في أخبار البشر، ج4، ص98.
- (21) المختصر في أخبار البشر، ج4، ص99.
- (22) المختصر في أخبار البشر، ج4، ص98.
- (23) أعيان العصر، ج2، ص113.
- (24) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص109.

- (25) هم طائفة من الإسماعيلية الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وسُموا الفداوية؛ لأنهم يفادون بالمال على من يقتلونه. ويسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية، واستولوا على عدة قلاع في بلاد الشام وبلاد فارس، وقضى هولاء على قلاعهم في فارس، ولهم مقدم يولى عليهم يطلق عليه «مقدم الفداوية» أو «شيخ الفداوية»، انظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: صحح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1، القاهرة: دار الكتب المصرية، (د.ت)، ص154 - 158.
- (26) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص106.
- (27) هو ثامن ملوك المغول الإيلخانيين، وهو ابن الخان أرغون، وشقيق خان المغول الكبير محمود غازان، وتولى الحكم بعده، وحكم في الفترة ما بين 704هـ/1304م إلى 716هـ/1316م، واعتنق الإسلام على المذهب الشيعي، ودخل في صدام عسكري مع المماليك في معركة الرحبة 712هـ/1312م غير أنه لم يُكتب له النصر، وللتقليل من شأنه كان يُطلق عليه «خربنده». انظر للمزيد: كنز الدرر، ج9، ص127 - 130، 251 - 256؛ تنمة المختصر، ج2، ص377؛ الوافي بالوفيات، ج4، ص258، 260، 264.
- (28) كنز الدرر، ج9، ص289؛ سرور، محمد جمال الدين: دولة بني قلاوون في مصر، القاهرة: دار الفكر العربي، (ب.ت)، ص209.
- (29) كنز الدرر، ج9، ص346. ويُقصد بها دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وهي إحدى السلالات التركية التي حكمت الأناضول ما بين 1077م/1308م، وقد امتدت أراضيهم من نيقية إلى قونية، وعلى المرات بشمال جبال طوروس. انظر: عطا، زبيدة محمد: الترك في العصور الوسطى، القاهرة: دار الفكر، (ب.ت)، ص55 - 58، 134.
- (30) المختصر في أخبار البشر، ج4، ص92.
- (31) أعيان العصر، ج2، ص112؛ الوافي بالوفيات، ج10، ص248؛ الدرر الكامنة، ج2، ص62؛ المنهل الصافي، ج4، ص139.
- (32) كنز الدرر، ج9، ص347.
- (33) الدرر الكامنة، ج2، ص62، 228.
- (34) المختصر في أخبار البشر، ج4، ص92؛ الدرر الكامنة، ج1، ص413.
- (35) الطومار هو الصحيفة أو نوع من أنواع الورق عرف بورق الطومار، كما يُنسب إليه قلم الطومار. الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، تحقيق: أحمد عبدالغفور، بيروت: دار العلم للملايين، 1987، ص726.
- (36) أعيان العصر، ج2، ص112؛ الوافي بالوفيات، ج10، ص248.
- (37) أعيان العصر، ج2، ص171.
- (38) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص105.
- (39) رحلة ابن بطوطة، ص241 - 242؛ طرطور، شعبان: الدولة الجلائرية، القاهرة: (د.ن)، 1987، ص

- 10 - 11؛ مهني، عثمان محمود: فن القصيدة الفارسية في العصر الإيلخاني، رسالة دكتوراه غير منشورة بأداب عين شمس 2008، ص 10؛ عاشور، سعيد: رحلة ابن بطوطة في عالم المرأة، مجلة العربي، الكويت: العدد 320، 1985، ص 77.
- (40) أعيان العصر، ج 2، ص 171؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 105، 106؛ الصياد، فؤاد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، قطر: دار الدوحة، 1986، ص 452 - 453.
- (41) اليوسفي، موسى بن محمد، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر: تحقيق: أحمد حطيط، بيروت: عالم الكتب، 1986، ص 335؛ أعيان العصر، ج 1، ص 696 - 697.
- (42) الجلائري نسبة إلى قبيلة جلاير بفارس، ويعرف بالشيخ حسن الكبير الذي صار نائباً للقان أبي سعيد بعد مقتل جوبان، وهو ابن عمته، وزوج بغداد خاتون بنت جوبان. انظر: الوافي بالوفيات، ج 11، ص 310؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 118.
- (43) خواندمير، غياث الدين: حبيب السير في أخبار حبيب البشر، مج 3، ج 1، تهران، كتابخانه خيام خيابان ناصر خسرو 1333 هـ. ش، ص 209؛ الدولة الجلائرية، ص 9؛ بقوش، أحمد عبدالعزيز: المجتمع المغولي في عصر الإيلخانيين، رسالة دكتوراه بأداب عين شمس، القاهرة 2004، ص 285 - 286.
- (44) أعيان العصر، ج 1، ص 696؛ رحلة ابن بطوطة، ص 243؛ الدرر الكامنة، ج 2، ص 13؛ إقبال، عباس: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة: محمد منصور، القاهرة: (د.ن.)، 1989، ص 491؛ فن القصيدة الفارسية، ص 10.
- (45) أحد بلدان مملكة المغول وتعرف بالبستان الأسود، وهي منطقة مصايف لخانات المغول كونها صحيحة الهواء طيبة الماء كثيرة المراعي، وتشمل عدة قرى، بها العديد من المساجد الجامعة، والأسواق متنوعة السلع، إلا أن أسعار السلع بها «تغلو حتى يصير الشيء بقيمة مثليه أو أكثر لكلفة الحمل ومشقة السفر». انظر: صبح الأعشى، ج 4، ص 425 - 426.
- (46) أعيان العصر، ج 1، ص 696؛ حبيب السير، مج 3، ج 1، ص 209؛ الدالي، فتحية حلمي: تاريخ كزيده حمد الله المستوفي القزويني، رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الأزهر 1994، ص 34 - 35.
- (47) العمري، أحمد بن يحيى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبدالقادر خريسات، ج 3، الإمارات: المجمع الثقافي، 2001م، ص 118؛ حبيب السير، مج 3 ج 1، ص 215؛ نيهان، فاطمة: المرأة في العصر المغولي، حوليات آداب عين شمس، جامعة عين شمس: العدد 24، يونيه 2002م، ص 124. أثارت تلك الحادثة العديد من الإشكاليات حول مسألة إسلام المغول؛ فكيف للقان أبي سعيد أن يتزوج من امرأة بعد أن يرغم زوجها على تطليقها؟! وزاد الطين بلة أنه تزوج أيضاً من دلشاد خاتون ابنة أخي بغداد خاتون؛ أي أنه جمع بين العممة وابنة أخيها، وهذه الأمور غير جائزة في الشرع الإسلامي؛ مما جعل البعض يصف إسلامهم بأنه ظاهري. للمزيد عن ذلك الموضوع تفصيلاً انظر: المجتمع المغولي، ص 286 - 287؛ كدرو، نرجس: موقف المغول الإيلخانيين من العقائد والمذاهب الدينية من وفاة هولوكو

- إلى نهاية حكم أبي سعيد بهادر خان، رسالة ماجستير بأداب عين شمس 2009، ص 179.
- (48) مفضل، ابن العسال بن أبي الفضائل: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، حوادث الفترة ما بين عامي 1317 و1341م، تحقيق: سامريا كورتانتمير، ألمانيا: فرايبورج، 1973، ص 39؛ حوادث الزمان، ج 2، ص 253.
- (49) المختصر في أخبار البشر، ج 4، ص 90؛ كنز الدرر، ج 9، ص 346؛ الدرر الكامنة، ج 2، ص 228.
- (50) أحد بلدان بلاد الروم المشهورة، وتحيط بها الجبال من كل جانب، وكانت مقراً ثانياً للسلطنة السلجوقية، وبها أحد الأنهار الكبيرة التي تغذي بساتينها، وتتميز بكثرة الفواكه مثل المشمش أو قمر الدين. انظر: صبح الأعشى، ج 5، ص 335.
- (51) المختصر في أخبار البشر، ج 4، ص 98. وتنطق أيضاً قيصرية أو قيسرية، وتنسب إلى قيصر، وكان بها مقر تخت السلطنة لدولة السلاجقة، ثم استولى عليها المغول فيما بعد إلى أن دخلها الظاهر بيبرس عام 675هـ/1276م، وخطب له بها وضرب السكة باسمه، وهي بلدة كبيرة ذات أشجار وبساتين وفواكه وعيون. انظر: صبح الأعشى، ج 5، ص 334.
- (52) هي أحد البلدان المهمة بين أنطاكية وطرسوس، وكان يُطلق عليها «سيسية»، وهي مستقر بقايا الأرمن الذين شكلوا شوكة دائمة ضد سلاطين المماليك؛ حيث دأبوا على مهاجمة القوافل التجارية والسفن التجارية المملوكية، وهو ما استدعى سلاطين المماليك، من مثل الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون وغيرهما، إلى غزوها وبسط نفوذهم عليها أكثر من مرة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 297؛ صبح الأعشى، ج 3، ص 499، 503.
- (53) المختصر في أخبار البشر، ج 4، ص 90؛ البداية والنهاية، ج 14، ص 100؛ تاريخ ابن خلدون، ج 5، ص 492، 620.
- (54) أعيان العصر، ج 2، ص 112.
- (55) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 106.
- (56) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 106؛ دولة بني قلاوون، ص 210.
- (57) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 82، 106؛ دولة بني قلاوون، ص 210.
- (58) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 105 - 106.
- (59) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 106.
- (60) كنز الدرر، ج 9، ص 346 - 347؛ دولة بني قلاوون، ص 210.
- (61) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 106.
- (62) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 106.
- (63) بيبرس، ركن الدين الدوادار المنصوري: التحفة المملوكية في الدولة التركية، تحقيق: عبد الحميد صالح، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1987، ص 78؛ تذكرة النبيه، ج 2، ص 105 - 181؛ دول الإسلام، ج 2،

- ص 271؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص106؛ شرفنامه، ج2، ص30.
- (64) سيف الدين أيتمش الناصري، ويُقال: أوتامش، وهو من مماليك الناصر محمد، ترقى في المناصب حتى صار من أكابر الأمراء، واستخلفه الناصر محمد على قلعة الجبل بالقاهرة عام 712هـ/1312م، ثم خرج رسولاً من الناصر إلى الخان أبي سعيد عام 722هـ/1322م، وظل يرتقي في المناصب عقب وفاة الناصر محمد إلى أن تولى نيابة الشام في عام 750هـ/1348م. انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات، ج9، ص270 - 271؛ الدرر الكامنة، ج1، ص504 - 505.
- (65) أعيان العصر، ج2، ص113.
- (66) الحسن بن عبدالله، محمد بن عمر: آثار الأول في ترتيب الدول، القاهرة: (د.ن.)، 1295هـ، ص95 - 110 - 111؛ ابن شاهين، غرس الدين خليل: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه: بولس راويس، باريس 1894، ص64؛ فودة، عز الدين: النظم الدبلوماسية، القاهرة: دار الشروق، 1961م، ص156؛ العدوي، إبراهيم: السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة: سلسلة اقرأ 179، 1957م، ص52 - 53؛ الوافدون (الصليبيون- المغول)، ص6.
- (67) النهج السديد، ص39؛ تاريخ ابن خلدون، ج5، ص498.
- (68) بلدة تقع ضمن إقليم حلب، وبها نائب عن كافل الممالك الشامية بدمشق، وتقع بين مرعش وسميساط، وبها قلعة حصينة عجيبة؛ نظراً لوقوعها على قمة الجبل بها، وتعود نشأتها إلى عصر الخليفة العباسي المأمون، وهي تختلف عن مدينة «البهنسا» في مصر. انظر: معجم البلدان، ج1، ص516؛ صبح الأعشى، ج8، ص221.
- (69) هو نائب السلطنة بدمشق في عهد الناصر محمد بن قلاوون، تولى النيابة في عام 712هـ/1312م، وظل بها إلى عام 740هـ/1339م؛ حيث أقدم الناصر محمد على التخلص منه عقب حدوث الواقعة بينهما، ويعد عهد تنكزه هو العصر الذهبي لمدينة دمشق وبلاد الشام عامة؛ حيث شهدت البلدة على يده ازدهاراً من الناحية العمرانية، كما شهدت جدلاً فكرياً خلال فترة حكمه خاصة فيما يتعلق بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وخصومهما حول بعض المسائل الدينية. انظر ترجمته بالتفصيل في: أعيان العصر، ج2، ص115 - 126؛ الوافي بالوفيات، ج10، ص260 - 266؛ الدرر الكامنة، ج2، ص64 - 74.
- (70) حوادث الزمان، ج2، ص254؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص106.
- (71) الدرر، الكامنة، ج2، ص62.
- (72) الجاشنكير: أصلها فارسي مركبة من لفظين، أحدهما: جاشنا ومعناه: الذوق، والثاني كبير، ومعناه: المتناول أي الذي يتذوق الطعام، وهي وظيفة في العصر المملوكي تُسمّى الجاشنكيرية، والجاشنكير هو المتحدث في أمر السماط مع الأستادار، ويتذوق الشراب قبل السلطان في الولائم، والأسمطة خوفاً من أن يُدس فيه سم أو غيره. انظر: صبح الأعشى، ج4، ص21، 46؛ ج5، ص460؛ البقلي، محمد

- قنديل : التعريف بمصطلحات صُبح الأعشى ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، 1983 ، ص 81 ؛
 . Ādil ، Yāsmīn: Al- Hawnağah in the Mamlūk Art ، Cairo 2007 ، P. 34 – 42
- (73) كلمة مركبة من لفظين فارسيين : «مَهْمَن» بمعنى الضيف ، و«دار» بمعنى المسك ، فيكون المعنى المسك للضيف أي المتولي لأمره ، كما أنه يتصدى لاستقبال الرسل والعربان الواردين على السلطان . انظر : صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 431 – 432 .
- (74) كنز الدرر ، ج 9 ، ص 347 – 348 ؛ تاريخ سلاطين المماليك ، ص 179 ؛ تذكرة النبيه ، ج 2 ، ص 180 ؛ السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج 3 ، ص 107 ؛ دولة بني قلاوون ، ص 210 .
- (75) البداية والنهاية ، ج 14 ، ص 133 .
- (76) ببيرس المنصوري : مختار الأخبار ، تحقيق : عبد الحميد صالح ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 1993 ، ص 78 ؛ تذكرة النبيه ، ج 2 ، ص 181 ؛ السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج 3 ، ص 107 .
- (77) هو سيف الدين الحُجَّاج النَّائِب كَانَ أَصْلَهُ مِنَ الْأَبْلَسْتِينَ فَلَمَّا ظَفَرَ الظَّاهِرُ بَبِيرَسٍ عِنْدَ دُخُولِهِ بِلَادِ الرُّومِ كَانَ مِمَّنْ سَبِي ، فَوَهَبَهُ لِلْمَنْصُورِ قَلاوون ، فَوَهَبَهُ الْمَنْصُورُ لِابْنِهِ عَلِيٍّ ، ثُمَّ تَرَقَّى فِي الْخِدْمَةِ حَتَّى أُمِّرَ ، ثُمَّ صَارَ فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَةِ ، وَكَانَ مِمَّنْ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْمُظْفَرِ وَالنَّاصِرِ وَهُوَ فِي الْكِرْكِ فَأَعْجَبَهُ عَقْلُهُ وَأُرْسِلَ إِلَى الْمِصْرِيِّينَ يَقُولُ لَهُمْ لَا يَصِلُ إِلَيَّ رَسُولٌ غَيْرِهِ . انظر : الدرر الكامنة ، ج 1 ، ص 489 . والجوكندار : وظيفة تتألف من لفظين فارسيين ، الأول جوكان بمعنى العصا المنحنية التي تضرب بها الكرة ، ويعبر عنه بالصولجان ، والثاني دار ، بمعنى مسك ، فيكون المعنى الكلى ممسك العصا ، وكان اسم الجوكندار يطلق على موظف مهمته حمل الجوكان للسلطان في أثناء لعبته الكرة أو البول ، وعرفت هذه الوظيفة قبل عصر المماليك ، وتولاها العديد من أمراء المماليك الذين أصبح لهم شأن في السلطنة المملوكية . للمزيد عنها انظر : صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 458 ؛ القرظي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة : دار الفكر ، 1955 ، ص 120 ؛ درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، ج 1 ، تحقيق : محمود الجليلي ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 2002 ، ص 183 ؛ ابن فهد ، عمر بن محمد : إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، جدة : دار المدني ، 1982 ، ج 3 ، ص 176 ، 177 ، 228-229 ، 233 ؛ العلمي ، عبدالرحمن بن محمد : الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ج 2 ، الأردن : مكتبة دنديس ، 1973 ، ص 83 ؛ النعيمي ، عبدالقادر بن محمد : الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : جعفر الحسني ، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، 1988 ، ج 2 ، ص 392 ؛ الجزيري ، عبدالقادر بن محمد : الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق : حمد محمد الجاسر ، ج 1 ، الرياض : دار اليمامة ، 2008م ، ص 1249 ؛ ج 2 ، ص 1378 – 1379 ؛ الباشا ، حسن : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج 1 ، القاهرة : دار النهضة العربية ، 1957 – 1966م ، ص 374 .
- (78) السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج 3 ، ص 107 .
- (79) أعيان العصر ، ج 2 ، ص 114 .

- (80) النهج السديد، ص 40؛ حوادث الزمان، ج 2، ص 254؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 107 .
- (81) كَانَ شَادِ الدَّوَّابِينَ يَدْمَشُوْا لِي وَلِي الْحِجْوِيَّةِ وَكَانَ خَيْرًا بِالْأُمُورِ طَوِيلَ الرُّوحِ فِي الْأَحْكَامِ نَابَ فِي عَزَّةٍ ثُمَّ وَلِي الْوَزَارَةَ بَعْدَ فَخْرِ الدِّينِ عَمْرِ بْنِ الْخَلِيلِيِّ فِي سَنَةِ 710 هـ / 1310 م، ثُمَّ قَبِضَ عَلَيْهِ بَعْدَ خَمْسِ سِنَوَاتٍ ثُمَّ وَلِي نَيْبَاتَةَ صَفْدٍ ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى إِمْرَتِهِ بِالْقَاهِرَةِ، وَاسْتَقَرَّ فِي أَمْرَاءِ الْمَشُورَةِ وَكَانَ لَا يُجِيبُ النَّاصِرَ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا يَغْتَرِضُ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرَهُ، وَقَدْ أورد القلقشندي نسخة توقيعه لمنصب الوزارة. انظر للمزيد: صبح الأعشى، ج 11، ص 147 - 151؛ الدرر الكامنة، ج 2، ص 18 .
- (82) أعيان العصر، ج 2، ص 113 - 114؛ الوافي بالوفيات، ج 10، ص 248؛ المنهل الصافي، ج 4، ص 139 - 140 .
- (83) أعيان العصر، ج 2، ص 114 .
- (84) رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 107 .
- (85) أعيان العصر، ج 1، ص 697 .
- (86) أعيان العصر، ج 1، ص 697 - 698 .
- (87) النهج السديد، ص 40 .
- (88) دولة بني قلاوون، ص 210 .
- (89) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 109 .
- (90) أعيان العصر، ج 2، ص 113 .
- (91) أعيان العصر، ج 2، ص 114؛ المنهل الصافي، ج 4، ص 141 .
- (92) أعيان العصر، ج 2، ص 115 .
- (93) أعيان العصر، ج 2، ص 114 .
- (94) تاريخ ابن خلدون، ج 5، ص 498، 621، 632 .
- (95) المختصر في أخبار البشر، ج 4، ص 99؛ حوادث الزمان، ج 2، ص 265؛ النهج السديد، ص 40؛ الدرر الكامنة، ج 2، ص 62؛ درة الأسلاك، ورقة 129 .
- (96) أعيان العصر، ج 2، ص 114 .
- (97) أعيان العصر، ج 2، ص 113 .
- (98) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 109؛ دولة بني قلاوون، ص 211 .
- (99) رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 107؛ الشرق الإسلامي، ص 464 .
- (100) أعيان العصر، ج 2، ص 112 - 113 .
- (101) أعيان العصر، ج 2، ص 114؛ المنهل الصافي، ج 4، ص 141 .
- (102) أعيان العصر، ج 2، ص 114 .

- (103) المختصر في أخبار البشر، ج4، ص99.
- (104) الوافي، ج10، ص248؛ المنهل الصافي، ج4، ص140 - 141.
- (105) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص109.
- (106) ضنت المصادر بذكر تفصيلات عن صاحب أنطاليا، وكل ما ذكر عنه يتعلق بنشأة تلك القلعة، وميزات تلك المدينة، ويبدو أن ورود اسم صاحب القلعة ووالده لارتباطه باعتداء الأمير دمرداش على القلعة وقتل صاحبها، لخلق سبب للثأر من الأمير الوافد إلى مصر.
- (107) من أشهر بلاد الروم، وبها قلعة حصينة على البحر، يقطنها كثير من السكان، وتعتمد على الاقتصاد الزراعي، وتمتد حدودها إلى خليج القسطنطينية. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج1، بيروت: دار صادر، 1995، ص270.
- (108) البداية والنهاية، ج14، ص135؛ السلوك، ج3، ص109؛ دولة بني قلاوون، ص211.
- (109) أحد الأمراء الكبار الذين عاصروا العديد من سلاطين المماليك، من مثل: المنصور قلاوون، والأشرف خليل، والناصر محمد خلال فترات حكمه الثلاث، والعاقل كتيغا، والمنصور لاجين، والمظفر بيبرس الجاشنكير، وكان ممن اشترك في قتل الأشرف خليل، وهو ما جر عليه وبال الناصر محمد الذي كانت العلاقة بينهما متوترة ما بين الحذر والعداء، غير أن رغبة الناصر في الثأر من قتلة أخيه غلبت عليه وسعى في القبض عليه؛ مما أجبره على الهرب إلى الدولة المغولية، وسلط الناصر أعداداً غفيرة من الفداوية لاغتياله غير أن محاولاتهم باءت بالفشل ومات طريح الفراش عام 728هـ/1327م. انظر للمزيد: سند أحمد، الأمير شمس الدين قراستقر المنصوري (إشكالياته في ضوء المصادر المملوكية)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الحولية 38، سبتمبر 2017، ص7 - 173.
- (110) النويري، أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى، حكمت فواز، ج33، بيروت: دار الكتب العلمية، (ب.ت)، ص195؛ الدرر الكامنة، ج2، ص62؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص110.
- (111) تاريخ ابن خلدون، ج5، ص498.
- (112) أعيان العصر، ج2، ص115.
- (113) أعيان العصر، ج4، ص97؛ الوافي بالوفيات، ج24، ص164.
- (114) الدرر الكامنة، ج2، ص62؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص113.
- (115) أعيان العصر، ج2، ص115؛ تاريخ سلاطين المماليك، ص189؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، مخطوط بدار الكتب رقم 549 معارف عامة، ج31، ورقة 85؛ تذكرة النبيه، ج2، ص180؛ البداية والنهاية، ج14، ص133؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص113؛ شرفنامه، ج2، ص30.
- (116) أعيان العصر، ج2، ص115؛ الوافي بالوفيات، ج10، ص249.

- (117) أعيان العصر، ج2، ص115؛ المنهل الصافي، ج4، ص141 - 142؛
 Wiet, J: les biographies du Manhal Safi (memoires de l'Institut d'Egypt, Le Caire 1932, P. 429b.
- والفارس أقطاي هو أحد أمراء المماليك الكبار في مطلع دولة المماليك، استقدمه السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب، وظل في خدمته إلى أن توفي، وسافر إلى بلاد الشام لإحضار ابنه المعظم تورنشا لمباشرة مهام سلطنته خلفاً لوالده، وظل بجواره إلى أن قتل، وتسلطن المعز أيك التركماني كأول سلاطين المماليك، فحذرت زوجته شجر الدر من طموحه، فتأمرا على قتله، فقتل بقلعة الجبل وحُزرت رأسه، وهرب مماليكه وعلى رأسهم بيبرس البندقداري إلى بلاد الشام في ضيافة الناصر صلاح الدين يوسف الثاني صاحب دمشق. انظر: الوافي بالوفيات، ج9، ص185 - 186.
- (118) الدرر الكامنة، ج2، ص62.
- (119) أعيان العصر، ج2، ص115؛ الوافي بالوفيات، ج10، ص249؛ الدرر الكامنة، ج1، ص175؛ ج2، ص62؛ الشرق الإسلامي، ص465؛ رزق، علاء طه: السجون والعقوبات في مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة: دار عين للدراسات، 2002م، ص103
- (120) تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص272؛ تاريخ سلاطين المماليك، ص180؛ إسماعيل، البيومي: الوفود السياسي لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة: العدد 30، 2002م، ص560.
- (121) أعيان العصر، ج4، ص98.
- (122) البداية والنهاية، ج14، ص140.
- (123) رحلة ابن بطوطة، ج1، ص290.
- (124) السخاوي، عبدالرحمن بن محمد، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، بيروت: المكتبة العلمية، 1992، ص249.
- (125) كنز الدرر، ج9، ص348.
- (126) نزهة الناظر، ص392.
- (127) أعيان العصر، ج2، ص115؛ الدرر الكامنة، ج1، ص175.
- (128) الدرر الكامنة، ج2، ص62.
- (129) تاريخ ابن خلدون، ج5، ص621، 498، 632.
- (130) النهج السديد، ص112 - 113.
- (131) أصله من مماليك الأمير الطباخي ثم انتقل لخدمة الناصر محمد، وارتقى في سلم الإمارة إلى أن صار في وظيفة الجاشنكير، ثم ولاة نيابة حلب في ربيع الأول 739هـ/ 1338م، ثم أعيد إلى مصر بعد القبض على تنكز عام 740هـ/ 1339م، ثم ولي نيابة طرابلس 743هـ/ 1342م في سلطنة الصالح إسماعيل فاستمر بها

- حَتَّى توفى فِي رَمَضَانَ 744هـ/ 1343م . انظر : الوافي بالوفيات ، ج 16 ، ص 244 ؛ الدرر الكامنة ، ج 2 ، ص 376 - 377 .
- (132) السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج 3 ، ص 151 - 152 .
- (133) أعيان العصر ، ج 2 ، ص 27 ؛ الوافي بالوفيات ، ج 10 ، ص 249 ؛ النهج السديد ، ص 107 ؛ المنهل الصافي ، ج 4 ، ص 143 .
- (134) أعيان العصر ، ج 2 ، ص 27 ؛ الوافي بالوفيات ، ج 2 ، ص 153 .
- (135) الدُّوَادَارُ : وظيفة مركبة من كلمتين ، الدواة عربية من أدوات الكتابة ، ودار فارسية بمعنى ممسك ، فتكون وظيفة صاحبها ممسك الدواة ، أو كاتب الملك ، ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه ، وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم القصص والشكاوى إليه ، وتقديم البريد . للمزيد انظر : صُبْحُ الْأَعْشَى ، ج 4 ، ص 19 ؛ الخطط المقرزية ، ج 2 ، ص 222 ؛ السيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر : حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج 2 ، تحقيق : إبراهيم أبو الفضل ، ج 2 ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، 1968م ، ص 131 ؛ الفنون الإسلامية ، ج 2 ، ص 519 .
- (136) النهج السديد ، ص 107 .
- (137) النهج السديد ، ص 107 .
- (138) النهج السديد ، ص 107 .
- (139) أعيان العصر ، ج 2 ، ص 26 .
- '140' النهج السديد ، ص 107 .
- (141) النهج السديد ، ص 107 .
- (142) أعيان العصر ، ج 2 ، ص 26 - 27 ؛ الوافي بالوفيات ، ج 2 ، ص 153 .
- (143) النهج السديد ، ص 108 .
- (144) النهج السديد ، ص 108 .
- (145) الدرر الكامنة ، ج 5 ، ص 385 .
- (146) أعيان العصر ، ج 2 ، ص 27 .
- (147) النهج السديد ، ص 108 .

مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت
تُعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور : عبدالرزاق خليفة الشايحي

صدر العدد الأول في رجب ١٤٠٤ هـ - أبريل ١٩٨٤ م

- * تهدف إلى معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.
- * تشمل موضوعاتها معظم علوم الشريعة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، واقتصاد وتربية إسلامية، إلى غير ذلك من تقارير عن المؤتمرات، ومراجعة كتب شرعية معاصرة، وفتاوى شرعية، وتعليقات على قضايا علمية.
- * تنوع الباحثون فيها، فكانوا من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات والكليات الإسلامية على رقعة العالمين: العربي والإسلامي.
- * تخضع البحوث المقدمة للمجلة إلى عملية فحص وتحكيم حسب الضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين في الشريعة الإسلامية، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي الإسلامي الذي يخدم الأمة، ويعمل على رفعة شأنها، نسأل المولى عز وجل مزيداً من التقدم والازدهار.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ص ب ١٧٤٣٣ الخالدية 72455 الكويت هاتف: ٢٤٨١٢٥٠٤ - ٢٤٩٨٤٧٢٢ - ٢٤٩٨٨٠٩٥ فاكس: ٢٤٨١٠٤٣٤

العنوان الإلكتروني: E-mail - jsis@ku.edu.kw - الاشتراكات - هاتف: ٢٤٩٨٦٠٦١ - 8908 - 1029 issn:

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت: <http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/JSIS> alsharia_ku

اعتماد المجلة في قاعدة بيانات اليونسكو Social and Human Sciences Documentation Center

في شبكة الإنترنت تحت الموقع www.unesco.org/general/eng/infoserv/db/dare.html

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى: دار المنظومة www.mandumah.com

تفهرس المجلة وملخصاتها ونصوصها في قواعد البيانات والمعلومات التالية: EBSCO Publishing Products